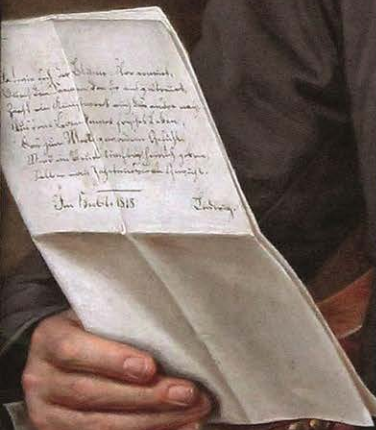




Scanned by
Jamal Hatmal

أبو عبدو البغل

<https://facebook.com/groups/abuab/>



أفكارٌ وتأملاتٌ

تأليف : يوهان فولفغانغ فون غوته
ترجمة : د. هاني صالح صالح

المشروع الوطني للترجمة
9
العلوم الإنسانية

رئيس مجلس الإدارة
محمد الأحمد
وزير الثقافة

المشرف العام
ثائر زين الدين
المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

رئيس التحرير
حسام الدين خضور

الإشراف الطباعي
أنس الحسن

تصميم الغلاف
عبد العزيز محمد

أفكارٌ وتأمّلات

تأليف : يوهان فولفغانغ فون غوته

ترجمة : د. هاني صالح صالح

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٩م

العنوان الأصلي للكتاب:

Maximen und Reflexionen

اسم المؤلف: J.W.Von Goethe

أفكار وتأملات / تأليف يوهان فولفغانغ فون غوته؛ ترجمة هاني صالح صالح. - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٩م. - ١٢٠ص؛ ٢٥سم. (العلوم الإنسانية؛ ٩).

١-٨٣٠.٨ غوت أ ٢- العنوان ٣- غوته ٤- صالح ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

مقدمة الطبعة العربية

غوته الشاعر، غوته و«الديوان الشرقي»، اسم يتردد على ألسنتنا ومسامعنا.
غوته الغرب والشرق... غوته الأدب الألماني العريق... غوته الرؤية
الإنسانية العالمية.

إنّ ما نحتاجه من غوته ليس ديوانه الشرقي وحده.

إنّ ما يلزمنا منه ليس تعاطفه مع الشرق فحسب.

ماذا عن غوته المفكّر والأديب والحكيم والسياسي؟

ماذا عن غوته القارئ والمتابع والقادر على الحكم؟

إنّ غوته عالمٌ متفرّدٌ أدباً وشعراً وفكراً وتأملاً، ترك أفكاره وتأملاته
كما ترك كتبه ونقده، فكان التأمل جزءاً من كتاب، وكان حيناً للتفكّر
وحده... وما أحوجنا - إنسانياً - إلى قراءة تأملات غوته وأفكاره التي لم
تقف عند فنّ معيّن، وحدّ معيّن، فتارةً في الفن والموسيقا، وتارةً في الأدب،
وأخرى في الحياة، ورابعةً في العلوم، وخامسةً في السياسة...

من تأملاته نتعرّف أهمية الاعتراف بالآخر...

من أفكاره نقف عند مفهوم نقد الذات حباً وحرصاً...

من مشكاته نقف على منابع المعرفة التي وصلت إليه، ومن ثمّ تابعت إلينا...

غوته في هذا الكتاب اللطيف حجماً، المكثف عبارةً وتجربةً ومعرفةً،
يجمع كتباً عديدة، ويجعلنا نعيش معه أكثر من حياة...

في هذا الكتاب، يقف غوته أمام حياة ممتدةٍ ليعطي خلاصة الخلاصات
لحياة فكرٍ كان مختلفاً في كل شيء...!

ما أحوجنا - ونحن نبحت عن صفاء عبارةٍ وفكرة، وعن روح وثابة
- أن نقرأ تأملات غوته ولا نملّ القراءة! بل ما أحوجنا إلى تمثله أفراداً
ومجتمعات، ولم تكن هذه التأملات إلا للتمثّل والاستفادة!
أجل ما أحوجنا إلى ذلك...!

ومن هنا تأتي أهمية مبادرة الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة
الثقافة في تقديم هذه التأملات إلى قارئ العربية، وقد سعدتُ بالعودة إلى
غوته وإلى تلك اللغة العالية البعيدة، وأفدتُ من هذه التأملات، وحرصتُ
أن تكون في ثوبها العربي الناصع أقرب ما تكون من القارئ منهلاً، لعلّها
تفتح مصاريع غوته المقلّبة، ونوافذ الفكر الوثّاب الذي نطمح إليه.

دمشق في ٢٦/١١/٢٠١٣

الدكتور هاني صالح

في الفلسفة

قد نلاحظ في معترك الحياة فجأة أننا وقعنا أسرى خطأ لم يكن في الحسبان تجاه أشخاص أو أشياء، كأن نحلم بعلاقة معهم سرعان ما تجافي الواقع عندما نستيقظ من هذا الحلم، ومع ذلك لا نستطيع التخلص من هذا التفكير، كأنّ هناك قوة لا ندركها تلزمننا بذلك. ولكننا قد نعي أحياناً بوضوح، وندرك أن الخطأ يمكن أن يدفعنا ويحفزنا، كما الواقع، إلى العمل والتصرف. وكما أنّ للعمل تبعاته في كل مجال، كذلك يمكن للخطأ - إذا دخل قيد الإنجاز - أن يصبح ذا تأثير بيّن، لأن تأثير كل عمل يُؤدّي يستمر إلى ما لا نهاية. وهكذا فمن الطبيعي أن يكون التنفيذ هو الأفضل، إلا أنّ للعدول عن هذا الحلم وعن تنفيذه حسناته أيضاً.

لكن الخطأ الأجل والأروع هو ذاك الذي يتعلق بأنفسنا وبقوانا الذاتية، كأنّ نندفع إلى عمل جدير أو صفقة شريفة لسنا قادرين على أدائها، أي أن نسعى إلى هدفٍ لسنا بقادرين على تحقيقه مطلقاً. أما العذاب الأليم الناتج عن الشعور بعدم القدرة على التحقيق - مهما كانت الظروف - فإنه أشدّ إيلاماً للشخص كلما كان سعيه إلى هذا الهدف الخُلْم أكثر جدية وصدقاً. ولكن غالباً ما يحدث أن نرى ما نرغب فيه ونأمل تحقيقه، ونجده مناسباً لقدراتنا وقد خُلِقنا لنكتفي به، في أثناء سيرنا على درب تحقيق ما هو ليس ممكناً بل مستحيلاً.

حينما يكون على المرء أن ينفذ كل ما يُطلب منه عليه أن يقوم نفسه بأكثر مما تستحق.

العمل يصنع العامل الماهر.

قد تُحُضُّ اللبن، عساهُ يعطي بعض الزبدة.

من الأسهل أن تتصور أن يكون لك عقلٌ متشبتٌ بخطأ واضح من أن تستطيع تحيّل أنصاف الحقائق.

لن تجد الحكمة إلا في الحقيقة.

قد يرى (الجميع) خَطْئِي ولكن قد لا يلاحظون كذبي.

أليس في العالم ما يكفي من الألغاز حتى نجعل من أبسط الظواهر ألغازاً أيضاً!؟

حتى الشعرة الدقيقة الصغيرة لا بد أن تُسقط لها ظلاً.

الكرمُ يُجلبُ لصاحبه الاحترام والتقدير، ولا سيّما إذا كان مقترناً بالتواضع.

يرتفع الغبار ويعلو بشدة في كلِّ مرّة قبل كل عاصفة ليسكن بعد ذلك طويلاً.

لا يسهل على الخلق التعرف إلى بعضهم على الرغم من النية الطيبة والرغبة الحقيقية، وما إن يحصل ذلك حتى تأتي النيات الشريرة لتشوّه كل شيء.

لوم يكن يقارن كل فردٍ نفسه بالآخر لكان التعارف أفضل وأعمق.

لذا فإنَّ حظ الأشخاص المميّزين أسوأ في ذلك من غيرهم، لأن الآخرين يجذرونهم، إذ لا يستطيعون مقارنة أنفسهم بهم.

ليس المهم في هذا العالم أن يعرف الشخصُ الناس الآخرين، وإنما المهم أن نكون في اللحظة التي نقف فيها أمام الآخر أذكى منه، وكل من حوّلنا شهوداً على ذلك.

لن نجد الضفادعَ في كل ماء، ولكنك تدرك وجود الماء عند سماع نقيقها. الخطأ مقبول في يفاعتنا، لكن علينا ألا نجرّه معنا إلى كهولتنا فشيخوختنا. في طبيعة كلِّ منّا أمرٌ ما إن تُظهره حتى يثير السخط. حينما يطيل المرء التفكير في جسمه وأخلاقه فلا بدّ أن يجد لديه مرضاً. تفرض الطبيعة على المرء أن يشعر بالخدر من دون أن يكون نائماً، ومن هنا يكون الاستمتاع بالدخان والشراب والمخدرات.

ما يهم الإنسان المجتهد هو صلاح ما يفعله، أما إذا تحقق الصلاح أو لم يتحقق، فلا داعي لأن يشغله الأمر.

قد يضربُ المرء عشوائياً بالمطرقة على الحائط، معتقداً أنه يصيب رأس المسمار في كل ضربة.

نسمي كل ما يقع مصادفة ولا نجد لحصوله قانوناً في الطبيعة، أو في حرية النشوء لحظة إدراكه أمراً عاماً مشتركاً.

لا يمكن أن تحيط بما لم تفهمه.

ليس كل من تُرشده إلى البداية يستطيع الاستمرار، فقد يخطر له ما لم يكن في الحساب.

ضعاف النفوس يتخذون من النعم التي يرفلون بها والحظوة التي يتمتعون بها طريقاً لتسلطهم.

كُلُّ كلام تافه يُعبَّرُ عنه بغرابة يبدو مضحكاً، ولا يُحمل على محمل الجد.
مهما كانت الظروف فسيبقى كل إنسان قادراً على تنفيذ قناعاته.
قد تضمحل الذاكرة إذا لم يصدر الحكم في اللحظة المناسبة.
قد يستاء الناس من بساطة الحقيقة، ولكن عليهم أن يدركوا أن
الاستفادة العملية منها تتطلب منهم جهداً كبيراً.
لا يمكن نقض الموعدة الخاطئة لأنها تقوم على القناعة بأن الخطأ هو
الصواب، لكن على المرء أن يكرّر ويؤكد على الموعدة المناقضة.
أعداء الأمور اللطيفة يجبطون خبط عشواء، ويتيهون بما لم يفعلوه.
هناك بعض العقول المعوجّة التي يجب أن نترك لها صفاتها.
من يُخفِ الفكرة لا يدرك المعنى.
نقدّر معلمينا الذين نستقي من علمهم دائماً، ولكن ليس كل من نتعلم
منه يستحق صفة التقدير والاستحسان.
يشارك الناس مع البحر بصفة، إذ نعطي البحر مسمياتٍ عديدة وهو
ليس في نهاية الأمر إلا ماءً مالحاً.
يُقال: «مديح المرء نفسه ذو رائحة نتنة». ربما كان ذلك صحيحاً،
ولكن المجتمع لا يشتمُّ رائحة اللوم الظالم الآتي من الغريب.
هناك طبائع إشكالية ليست قادرة على حل ما تقع فيه من إشكالات،
ولا يرتاح أصحابها لوضعٍ هم فيه. من هنا ينشأ التناقض المقيت الذي يشوّه
كل سعادة في الحياة.

كل عمل صادق مخلص تقوم به يحصل غالباً بصمت، كما لو كان نتيجة استعفاف.

الزميل المرح كالدرّاجة في النزّهات.

تلمع الأوساخ حينما تشرق عليها الشمس.

من الصعب أن تكون منصفاً للّحظة التي تمر بك، فهي إما أن تسبب لك الملل لعدم أهميتها أو العبء لجودتها أو أن تجرّ عليك سوء تبعاتها.

أسعد امرئ من يستطيع أن يقرن نهاية حياته ببدايتها.

ما أكثر تناقض المرء وعناده مع ذاته! لا يريد لأحد أن يلزمه بما هو لصالحه، ويتقبل كل ضغط ممكن لفعل ما يضرّه.

الحذر سهل بسيط والعاقبة معقدة.

ليست الحالة التي تقودك كلّ يوم إلى متاعب جديدة حالةً صحيحة.

عند وقوع المرء في المحاذير لا بد من البحث عن طرق الخلاص.

البدو في الصحارى يُقسّمون بالأياكلوا السمك.

الأراء الجريئة كالبيادق على الرّقعة يمكن أن تُقتل، ولكنها كانت بدايةً

للعبة يجب أن تكون الكاسبَ فيها.

المؤكّد أنّ الحقيقة والخطأ ينبعان من مصدر واحد، وهذا ما يدعو غالباً

إلى عدم الإساءة للخطأ؛ لأنك بذلك تسيء إلى الحقيقة أيضاً.

لكل امرئ بعض الخصائص التي لا يمكن أن يتخلّص منها، ولكنه

غالباً ما يهلك نتيجة أقلّها سوءاً.

الذي لا يرفع من قيمته يكون غالباً أفضل مما يعتقد.

أَعْجَبُ لأولئك الذين يتعلقون بما هو فانٍ، ويضيعون أنفسهم في التهاافت
خلف ترهات الحياة الدنيا. حُلِقْنَا لنحصل على الباقي من الفاني، ولا يمكن
أن يحدث ذلك إلا إذا أدركنا قيمة كلٍّ منهما.

على المرء أن يراجع معتقداته بين وقت وآخر، ويعبر علانية عما يوافق
عليه وعما ينكره، فالآخر لا يتأخر عن فعل ذلك.

لا تُقَمِّ اعتباراً القوس قزح؛ لأن ظهوره لا يدوم إلا ربع ساعة من الزمان.
مهما بدت الحياة لك بسيطةً في ظاهرها، واكتفيت منها بالعادي، فإنها
تتطلب منك في الخفاء دائماً تنفيذ بعض الإنجازات بعيدة المنال، والبحث
عن وسائل لإشباع هذه المتطلبات.

ليست الظلامية الفعلية أن تمنع انتشار الحقيقي والواضح والصريح
والمفيد، وإنما أن تدفع إلى النهج الخاطيء.

إدراك الخطأ أسهل بكثير من الوصول إلى الحقيقة، فالخطأ يَطْفُو على
السطح ويسهل إدراكه، أما الحقيقة فهي في الأعماق، والبحث عنها يقتضي
الغوص، وهذا ما لا يستطيعه كلُّ إنسان.
كلنا نحيا الماضي ونهلك في ذلك.

العجيب في الثقة أنها قد تستمع إلى واحدٍ فقط قد يخطئ أو يخدع
نفسه، وقد تستمع إلى كثيرين فيقعون في الكمين نفسه، وهي في الغالب
لا تقودك إلى الحقيقة.

لا يجوز أن تتمنى لأي شخص، كائناً من كان، حياةً غير شريفة،
فظروفُ الحياة محكُّ مُحْتَبَر به الأخلاق والعزيمة.

غالباً ما يكتشف الرجل البسيط الشريف ألعيب الماكين المُنمقين.
من لا يعرف الحب عليه بالتملق، وإلا فلن ينسجم في محيطه.
لا يمكن للمرء أن يدفع النقد عن نفسه، ولا أن يتحاشاه، بل عليه أن
يعاند هذا النقد فيترجع شيئاً فشيئاً.

الجماعة لا تستغني عن البارعين والمهرة، مع أنهم عبءٌ دائمٌ عليها.
الجحود نوع من الضعف. لم أر في حياتي بارعاً جاحداً.
كلُّنا ضيقو الأفق، نعتقد أننا لا نخطئ، وهكذا يرى صاحبُ العقل
الاستثنائي نفسه ليس معرضاً للخطأ مع الآخرين فحسب بل يستشعر
السرور به أيضاً.

التأثير المعتدل الصافي الباعث لإتمام الحق والعدل أمرٌ نادرٌ جداً؛ وعادة
ما نرى الحذقة التي تؤدي إلى التخلف، والوقاحة التي تدعو إلى التهور.
تشكّل مجموعةٌ من الطُرف والأفكار أكبر كنز للرجل الاجتماعي اللبّيق،
إذا عرف كيف يسوق الأولى في حديثه بأدبٍ وتهذيب، وكيف يتذكّر
الأخرى في المكان المناسب.

حينما يُفقد الاهتمام تُفقد الذاكرة.
العالم كجرسٍ ذي صدعٍ، يُحدّثُ ضجّةً ولا يرنّ.
الخُلُق السيئ يُحيل الاهتمام إلى شماتة.
الخجولون والخائفون هم أفضل مادة للحديث.
هناك أناس لا يُخطئون لأنهم لا يسعون إلى ما هو سديدٌ وصائب.
الزمن نفسه هو أحد عناصر هذا الكون.

الفرق الذي لا يزيد في الإدراك ليس فرقاً.
لو أراد المرء أن يدرس القوانين كلها لما بقي لديه وقتٌ لتجاوزها.
لا تستطيع أن تعيش لكل الناس، وخاصة أولئك الذين لا تحب
العيش معهم.

الأسرار لم تبلغ مبلغ الأعاجيب.
أود أن أكون صريحاً معك من دون أن نختصم ونفترق؛ لكن ذلك
غير ممكن. أنت تتصرف على نحو خاطئ وتجلس بين كرسيين، فلا تكسب
أنصاراً وتفقد أصدقاءك، فما النتيجة؟!
لا فرق بين أن تكون نبيلاً أو وضيعاً، عليك أن تتحمّل، عواقب
كيانك الإنساني.

أعطني حيثما أكون. «أرخميدس»
خذُ أينما كنت. «نوزه»^(١)
أثبت نفسك أينما تكون. «غوته»
لا تصادف الذكيّ حماقاتٍ صغيرة.
اللذات مجهولة الأسباب، ولكن يمكن للمرء أن يبدأ بها ما يشاء.
الحقيقة شعلة مخيفة، لذلك نرمقها شزراً، ونحاول الابتعاد عنها خشية
الاحتراق بها.

(١) الطبيب والجيولوجي Karl Wilhelm Nose (١٧٥٣-١٨٣٥) كان مستشاراً في شؤون المناجم في إلفرلد ثم أنهى حياته مدرساً جامعياً في بون. قرأ غوته أعماله واستفاد منها في أبحاثه المنبرولوجية الخاصة.

لا ضمير لمن يعمل، أما المشاهد فهو صاحب الضمير دوماً.
هل يعتقد السعيد أن الحزين يجب أن يلاقي حتفه أمامه كالمصارعين
الرومان بكل عزة وكرامة، كما كان يرغب رعا روما؟

من يلتفت بحكم العادة إلى ساعة توقفت، كمن ينظر إلى وجه امرأة
جميلة يخالها ما تزال تُحب.

البغض انزعاج إيجابي أما الحسد فسلبى، لذلك لا تعجب إذا تحول
الحسد سريعاً إلى بغض.

أسخف الأخطاء أن يعتقد الشبان الأذكى أنهم يفقدون أصالتهم إذا
اعترفوا بالحقيقة التي اعترف بها من سبقهم.

يقول المرء لنفسه غالباً في هذه الحياة: إنَّ عليه أن يتجنب الإرهاق في
العمل، وبشكل خاص كلما تقدّمت به السنّ، حيث عليه ألا يزيد من أعماله،
وآلاً يبدأ عملاً جديداً، ولكنه يستطيع أن يبقى خليّ البال ينصح نفسه
والآخرين. إلا أن التقدم في العمر هو بحد ذاته دخول في مهات جديدة؛ إذ
تتغير كل الظروف، وما على المرء حينذاك إلا أن يحسن التصرف بأداء هذا
الدور الجديد بوعي وعزيمة، أو أن ينقطع عن عمل أي شيء في هذه الحياة.

من يقض أوقاتاً طويلة مع الأطفال يلاحظ بلا ريب أنّ كل تأثير
خارجي عليهم يُعقبه ردّ فعل.

حتى إنَّ ردّ فعل الكائن الصغير النجيب يكون جارفاً، ومشاركته بارعة.
لذلك يعيش الأطفال في أحكام سريعة حتى لا نقول في أحكام مُسبقة،
وحتى يترك هذا الحكم السريع المتحيز مجالاً لحلّول رأي أكثر عمومية، لا بد أن
ينقضي وقت ليس بالقصير. والإشراف على هذه المرحلة أحد أهم واجبات المربي.

طفل ذو عامين من العمر استطاع أن يعي حفلة عيد ميلاده، وتوجه بالشكر إلى أهله وذويه معرباً عن سروره بالهدايا التي قُدِّمت إليه، لا بل تقدّم بهذه الهدايا إلى أخيه في مثل هذه المناسبة.

ولكنه سأل في ليلة عيد الميلاد (ميلاد السيد المسيح) عن مصدر الهدايا الكثيرة، وعمّا إذا كان له هو عيد ميلاد خاص به أيضاً. وقد احتاج عاماً آخر حتى استطاع التفريق بين الخاص والعام.

الصعوبة الكبرى في ردود الأفعال النفسية تتجلى في وجوب عدّ الداخلي والخارجي منها متداخلاً ودائمة الحركة على التوازي، وهكذا هي حياة الكائن الحي: القلب في انقباض وانبساط، والنفس في شهيق وزفير، ولو لم يكن بالإمكان التعبير عن هذه المظاهر فعلى المرء أن يلاحظها ويراقبها بمتهمى الدقة.

على المرء أن يقارن دائماً بين ما لا يسير لصالحه في حياته اليومية وبين وفرة الحوادث الأليمة في تاريخ البشرية.

حقاً؛ إنّ المرء لا يعرف إلاّ حينما لا يعرف إلا القليل، إذ مع زيادة المعرفة يزداد الشك.

حقاً؛ إن أخطاء الإنسان تجعله ظريفاً وأنيساً.

هناك أناس يحبون مثلهم ويسعون إليه، وهناك من يحبون نقيضهم، ويَجْرُونَ خلفه.

من يسمح لنفسه أن يرى العالم سيئاً كما صورّه له أعداؤه، فإنه لا ريب قد أصبح ذاتاً بائسة.

الحسد والكراهية يجعلان المراقب مقتصراً على ظواهر الأمور وهامش المجتمع حتى لو كانت الفطنة ثالثهما؛ أما إذا تأخت الفطنة مع الحب والرضا

واللطف فإنه ينفذ في العالم وفي الخلق من حوله، لا بل يستطيع أن يطمح بالوصول إلى أعلى المراتب.

يستمسك الناس بميولهم بكل ما هو حي، فالشبية تتطور مستمسكة بالشباب. يمكن أن نتعرف إلى العالم كما نحب، ولكن يبقى لهذا العالم جانب مضيء وجانب مظلم.

كما كان في روما شعب من التماثيل إلى جانب شعبها البشري، كذلك يوجد إلى جانب هذا العالم الواقعي عالمٌ من الجنون أشدَّ قوَّةً وتأثيراً يعيش فيه معظمنا.

قد نرغب في تجاوز الأجيال الماضية ولكن ليس الأجيال القادمة، ألم ترَ أن الأب لا يحسد ولده على عبقريته؟!

أن تكون عبداً لغيرك، فذاك ليس فناً صعباً؛ ولكن أن تعرف عن نفسك وأنت تهبط هذا المسار في تراجعك وفي تخلفك، ما ستصبح عليه هذه النفس، فهذا هو الأصعب.

يتجلى عملنا الرائع في تخلينا عن وجودنا كي نبقى حقاً.

كل ما نفعله ونمارسه ليس إلا معاناة وعناء، فليهنأ ذاك الذي لا يتعبه ذلك. هو العالم نفسه، يرقبه الجميع ويرونه ويتوقعونه، ومع ذلك فالناس أنفسهم يعيشون في عالم حقيقي أو عالم مزيف، والذين يعيشون الزيف هم الأكثر ارتياحاً.

تتناقض الحقيقة مع طبيعتنا على عكس الخطأ، وذلك لسبب بسيط: الحقيقة تتطلب منا الاعتراف بمحدوديتنا، في حين تتملقنا الأخطاء، ونحن على هذه الحال أو تلك لا حدود لنا.

أن يعتقد أناس أنهم ما زالوا قادرين على فعل ما كانوا يقدرون عليه،
أمرٌ طبيعي، أما أن يعتقد آخرون بقدرتهم على ما لم يقدروا عليه قط فهذا
شيء عجيب، ولكنه ليس نادراً.

تظهر الرمزية الحقيقية بأجلى معانيها حينما يُمثلُ الخاصَّ العامَّ، ليس
كأحلام أو ظلال بل كتجلُّ لحظيِّ حيٍّ لما هو خفيٌّ وغامض.

لما ينفصل المعنوي عن الواقعي يستترفه ويستترف نفسه معه، كما يستترف
النقد الورقي نفسه والفضة.

كثيراً ما يتهاهى التفوق مع الأنايئة.

النصيحة الجيدة تجعل عملك كأنه صادر عن ذاتك.

تركز الدعايات الانتخابية على ما هو مفقود عند صاحبها وما يطمح
إليه. ولا عجب أن ينظر المرء إلى ذلك بعين الرضا.

من أراد التخلص من أخطائه فعليه أن يدفع الثمن باهظاً، وليعد نفسه
من ثم محظوظاً.

لا مدرسة تحضيرية إلا في المدرسة الحقيقية.

الخطأ والصواب كالنوم واليقظة. لاحظتُ أن المرء يعود عن الخطأ
ويندفع نشيطاً نحو الصواب.

من لا يعمل لنفسه يُعان. إن تعمل مع الآخرين تُشاركهم الاستمتاع.

يرتبط الإدراك بالطبيعة الحسية وبالعقل. تلحق بذلك الإدراك الضرورة

المرتبطة باللياقة. إلا أن الضرورات تبيح المحظورات بحسب الزمن وظروفه.

نتعلم في الواقع من الكتب التي لا نستطيع تقويمها. أما مؤلف الكتاب الذي يمكن أن نقومه فهو من يجدر به التعلّم منا.

يبقى الإنجيل كتاباً ذا تأثير فعّال إلى الأبد ما دامت الحياة قائمة، ولم يظهر من يزعم القدرة على احتوائه كلّاً وفهمه تفصيلاً. ونحن نقول عنه بكل تواضع: «كتاب جدير بالاحترام ككلّ ومفيد بتفاصيله».

تكون الأحكام المسبقة لكل إنسان مرتبطة بشخصيته حين تكوين هذا الحكم، لذلك فإن هذه الأحكام ترتبط بشكل عميق مع الظروف القائمة في أثناء تكوينها ومن ثم لا يمكن تجاوزها بأيّ حال. فلا البراهين والوقائع ولا العقل والحكمة قادرة على التأثير في هذه الأحكام.

يولد عقل الإنسان صحيحاً مع الإنسان السليم ويتطور ذاتياً ليتجلى من خلال الإدراك الحاسم ووعي الضروري والمفيد. ويستخدم العمليون من الرجال والنساء هذا العقل بكل ثقة واطمئنان. وحينما يطرأ النقصان عليه يعتقد كلا الجنسين أنّ الضروري هو ما يرغبون فيه، والمفيد ما يعجبهم.

الناس كلّهم يخطئون حينما ينالون الحرية الكاملة؛ فالأقوياء بالمبالغة والضعفاء بالإهمال.

يفاجئنا كل ما هو مميز، ولو للحظة، إذ لا نشعر أننا مؤهلون لذلك؛ ولكن سرعان ما نضيفه إلى ثقافتنا، ونخترنه من خلال قوانا العقلية ومشاعرنا العاطفية، ويصبح مما هو محبّب لنا ومقدّرٌ لدينا.

لا عجب إذا كنا جميعاً نشعر بالراحة النفسية تجاه كل ما هو معتدل، فهذا يتيح لنا الاسترخاء؛ يعطينا الشعور اللذيذ، كأننا نتعامل مع مثلنا.

لا يجوز أن نتقد ما هو عامّ وشائع؛ لأنه سيبقى على مرّ الأيام كذلك.

في العالم كثير من الفضائل والمهارات في آن؛ ولكن لا التقاء بين المجموعتين.
قد يتعثر المرء بالحظ السيئ نتيجة ظروف عامة أو بيتية؛ ولكن حينما يصيب
الحظ السيئ الجارف حزم السنابل يتقصف القش، وتقفز الحبوب لا مبالية سليمة
ومسرورة، سواء أكان مصيرها إلى المطاحن أم لتُبذَر مرة أخرى في الحقول.

مهما كان احتمال تحقيق المأمول كبيراً تبقى مسحة من الشك حول
ذلك؛ وهكذا فإن المأمول يُفاجئ دوماً عندما يصبح حقيقة واقعة.

يُقال عن المجتمعات الرفيعة: حديثها تعليمي وصمتها تربوي.
لا أسوأ ولا أكثر ضرراً من الجهل الناشط.

علينا أن نضع الجمال والروحانية جانباً إذا لم نُرد أن نكون عبيداً لها.
رعاية كبار السن كما رعاية الأطفال، كلتاهما من ضروريات هذه الحياة.
يخسر المَسِنُّ أحد أهم حقوقه الإنسانية حين يفقد تقويم نظرائه له.
تعمل القوى الكبيرة، ولا رادّ لها، سواء أكانت أزلية أم أنها ابتدائية
تطوّرت مع مرّ الدهور؛ أما كونها ضارة أو مفيدة فليس إلا من قبيل المصادفة.
حبّ الحقيقة، هو أول وآخر شيء نطلبه من العبقري.

من كان صادقاً مع نفسه ومع الآخرين امتلك أجمل صفة من صفات
كبار الموهوبين.

الحب الذي يشعر الشبان بعنفوانه لا يسيطر على الكهول بالعنفوان
نفسه، شأنه في ذلك شأن كل ما يحتاج إلى قدرة على الإنتاج. قد يبقى الحب
عنيفاً في سن متقدمة، لكن ذلك لا يعدو كونه استثناء.

الشعراء وأنصاف الشعراء كلهم يصوّرون لنا الحبّ بشكل مبتذل إذا لم يتجدد بطبيعة الحال دوماً وبكامل رونقه وعنفوانه.

بغض النظر عن تلك السيطرة العاطفية التي يقع المرء في شباكها، فإنه يبقى مرتبطاً وخاضعاً لبعض الظروف الضرورية. ومن لا يقرّ بهذه الظروف ويسعى لتأطيرها في نطاق الحب فسيصبح، لا محالة، بائساً.

الحب مرتبط بالواقع القائم؛ هذا الواقع الذي يسعدني فيه كل ما في الوقت الحاضر، وأتصوره دائماً غير موجود ويشير الرغبة في التجديد الدائم للكينونة الحالية، وتكون له بهجة ساحرة عند تحقيق هذه الرغبة، وله اللطف نفسه مع استمرار هذا الخط؛ هذا هو ما نحبه في الحقيقة، ونتيجة ذلك أننا نستطيع أن نحب كل شيء نصل إليه في حاضرنا؛ ونقول الكلمة الأخيرة في هذا المجال: إن الحب الإلهي يسعى دوماً لتجسيد العليّ الأعلى.

قريباً من ذلك نجد الإعجاب الذي غالباً ما يتحول إلى حُب، وهو علاقة نقية صافية تشبه الحُب في كل نواحيها باستثناء الرغبة القوية في استمرار الواقع القائم.

يمكن أن يكون الإعجاب مختلفَ الاتجاه والتوجّه، إلى جهات عدّة ونحو أشخاص وأشياء عدّة، وهو الذي يُسعد المرء إذا عرف كيف يحافظ عليه.

من الجدير أن نلاحظ أيضاً كيف أنّ العادة قد تضع نفسها مكان وِلَه الحُب: لا تتطلب واقعاً جميلاً ومُريحاً، ومع ذلك فهي منيعة لا يمكن إغفالها. تحتاج كثيراً من الجهد لتغيير علاقات اعتدتها؛ فهي تقاوم كل ما هو مكروه. الانزعاج والامتعاض والغضب، لا تستطيع التأثير في العادة، بل إن العادات تتجاوز الاحتقار والبغض أيضاً. لا أعرف إن كان أحد الكتاب

الروائيين قد استطاع أن يصور ذلك بشكل كامل، وإن فعلَ فبشكلٍ عرضي وقصصي فقط، لأن هذا الروائي لا بد أن يكافح ضد بعض الأمور غير المعقولة، ويحاول عقلنتها في سرده القصصي.

نادراً ما تقدّم ما يكفي لأنفسنا، ولكنّ عزاًؤنا أننا تقدّم ما يفني بحق الآخرين. لا نلظر إلى حياتنا كأنها نسيج متجانس متكامل بل إلى أنها قطع مجزأة. تظهر في مخيّلتنا الأمور التي أهملناها أو تلك التي لم نستطع إليها سبيلاً، أما ما نجحنا به وحققناه فيتكثف في مخيّلتنا.

لا يدرك اليافع شيئاً من ذلك، يرى... يستمتع، ويستغل شبابٍ واحدٍ من أسلافه ليبنى نفسه من الداخل، وكأنه كان هذا السلف مع أنه لم يكنه.

يسعدني الإعجاب المتنوع الذي ينهال عليّ من بلدان غربية بطرقٍ متشابهة أو متطابقة. تتأخر الأمم الغربية في التعرّف إلى أعمال شبيبتنا، فشبيبتهم ورجالهم يجهدون ويسعون وهم يرون أنفسهم في مرآتنا، فيدركون أننا أردنا ما يريدون الآن، ويدخلوننا في مجتمعاتهم، ويخدعون أنفسهم بمظاهر الشباب العائد.

لا يستطيع المرء أن يحيا ويستمر وحيداً، لذلك يلجأ إلى الجماعة علّه يجد عندها الأمان والاطمئنان، ولو لم يجد الراحة والسكينة.

يعلم المرء نفسه أولاً ثم يتلقى التعليم من الآخرين بعد ذلك. من العسير أن يرتضي المرء أخطاء الزمان؛ يعاندها: يجد نفسه وحيداً، يرتضيها: لا يكسبه ذلك شرفاً ولا حتى كرامة.

الفطنة والذكاء يليان التفكير، فما على المرء إلا أن يحاول إعادة التفكير في ما سعى إليه ويسعى.

كيف يمكن للمرء أن يعرف نفسه؟ عبر مراقبة النفس؟ لا! ولكن عبر عمله. حاول أن تؤدّي واجبك، وسترى حسناتك وسيئاتك.

ولكن ما هو واجبك؟ إنه ما يتطلبه منك يومك.

انظر إلى العالم المعتدل المعقول ككائن كبير خالد لا يموت، يسبب الضروري ويؤدي إليه، ويجعل نفسه بذلك سيّداً على كل عَرَضٍ جاء مصادفةً. كلما امتدّت بي الحياة أجد نفسي أزداد كدرّاً وتنغيصاً عندما أرى ذاك الذي بيده الحلّ والربط يسعى ليسيّط على ما هو طبيعي، وليحرر نفسه وأصحابه مما هو ضروري عسير، وحينما أرى كيف يفعل عكس ما يريد، بناء على حكم مسبق وانطباع خطأ لديه، ويخبط بعد ذلك خبط عشواء، وقد اعتكر مزاجه واهتمّ واهتمّ.

الرجل المجدّد والنشيط يصنع لك الجميل، ويستحق

من الكبير: الرحمة

ومن صاحب السلطان: الحظوة

ومن الناشط الماهر: التشجيع

ومن الجماعة: الحسد

ومن الفرد: الحُب.

قُل لي: من تعاشر، أقل لك من أنت؛ عرّفني باهتماماتك أعرفك بما سيؤول إليه مستقبلك.

على كل إنسان أن يفكر وفق طريقته؛ فهو يجد دوماً في طريقه ما هو حقيقي أو شبه حقيقي يساعده في حياته، لكن لا يحقّ له أن يهمل نفسه، بل عليه أن يكون قادراً على امتلاك زمام أمره، فالغريزة المتجرّدة لا تليق بالإنسان.

يودي العمل المطلق غير المقيّد، من أي نوع كان، بصاحبه إلى الإفلاس.

أهداف الأعمال، كما هي أهداف الإنسان، جديرة بالاهتمام.

يخطئ الناس مع أنفسهم ومع غيرهم، لأنهم يتعاملون مع الوساطة كأنها هي الهدف، فالعمل الكثير غير الواعي لا ينتج شيئاً أو ربما أنتج من الأمور أكرهها.

من العسير والمضني أن تصلح الأخطاء الكاملة، أو حتى أنصاف الأخطاء وأرباعها، أو أن تدركها، ناهيك عن إعادتها إلى الوضع الصحيح. المفاهيم العامة والغرور والعجرفة حاضرة دائماً على طريق الانحراف واستجلاب المصائب.

عند علماء النبات دائرة يدعونها «النباتات غير الكاملة»، كذلك يمكن القول: إن هناك أناساً منقوصين غير كاملين، وهم أولئك الذين لا يتناسب شوقهم وولعهم وسعيهم وطموحهم مع أعمالهم وإنتاجهم.

يمكن لأبسط إنسان أن يكون كاملاً إذا كانت حركته ضمن نطاق مهاراته وقدراته؛ كما أن أفضل المزايا قد تختفي أو تدخل في نطاق التعقيم على الأقل إذا اختفى ذلك التناسق الضروري المطلوب، وسيظهر هذا الشر في الأزمان الحديثة بازدياد مطرد، فمن الذي يستطيع أن يستجيب بالسرعة الكافية لمتطلبات الحاضر المتزايدة؟

أولئك العاملون بذكاء الذين يعرفون قدراتهم، ويستخدمون مهاراتهم باعتدال وحكمة، هم المبرزون في الحياة العامة.

خطيئة كبرى أن يظن المرء نفسه أعلى قادراً مما هو عليه في واقع الأمر، وكذلك حين لا يعرف قيمة نفسه.

أقابل بين الحين والآخر شبَّاناً أكمل من أن أرجو لهم أي تغيير أو تحسّن؛ ولكن هناك من يبعث الخوف في نفسي؛ لأنني أرى بعضهم صالحاً للسباحة في تيار الزمن، وهنا ما أود لفت النظر إليه باستمرار: يجب أن يأخذ الإنسان المجداف في يده ليوجه قاربه الهش في طريق السلامة ويسير به كما يجب ويرغب، لا أن يتركه عرضة للأمواج تتقاذفه.

كما أن بخار الآلات البخارية يبقى من دون تخفيض كذلك هي الأخلاق لا يمكن الانتقاص منها: نشاط التجارة، وحفيف الأموال، وتفاقم الديون لتسديد الديون، كل ذلك عناصر مرعبة يرى الشاب نفسه في مواجهتها هذه الأيام. ومن حسن حظه إن كانت الطبيعة قد حَبَّتْه بإحساس هادئ ومعتدل كيلا يتطلب من عالمه ما هو غير مناسب، ولا يترك نفسه عرضة لتقاذف الرياح في هذا العالم.

البحث عن الصحيح والجيد في كل مكان وتقدير ذلك هو الذي يعكس حب الحقيقة لدى المرء.

الخصوصية تستجر الخصوصية.

لا تنسَ أن هناك كثيراً من الناس يريدون قول ما هو مهم من دون أن يكونوا منتجين، وقد تكون لأقوالهم آثار رائعة في هذه الحياة.

يكون الناس الذين يفكرون بجدية وعمق في مواجهة عسيرة مع المجتمع.

كل ما يجرر عقولنا من دون أن يمنحنا السيطرة على نفوسنا هو لا محالة مفسد.

لا يكون المرء حياً إذا لم يُرِدْ لأخيه ما يريد لنفسه.

يبقى الواجب بعد أدائه نوعاً من الدَّين لما يُقْضَى بعد، لأن المرء الكريم

يشعر بأنه ما يزال مقصراً وإن أدى واجباته.

لا يرى النقائص إلا من كان قلبه خالياً من الحب، فإذا أردت رؤيتها خفف الحب من قلبك، ولكن حذار أن تفعل ذلك إلا بما يكفيك لتعرف النقيصة وإصلاحها.

إذا كنت تستطيع القراءة فعليك أن تفهم وإذا كنت تستطيع الكتابة فعليك أن تكون على علم بشيء ما، وإذا اعتقدت بشيء فعليك أن تفهمه، وإذا رغبت في شيء فعليك تحقيقه، وإذا طلبت فلن تحصل على طلبك، وإذا كنت تعرف شيئاً فاعمل به.

الساقية رفيقة الطحان تقدم له النفع وتندفع بسرور لتحرك طاحونته،
فماذا يفيدها لو انسابت في الوادي من دون نفع!
من يطلب كثيراً ويُسَرُّ بالمعقد فهو عرضةٌ للأخطاء.

المشاهدة العادية، رؤية صحيحة لكل ما هو دنيوي، وهي كذلك جزء من الموروث العقلي الإنساني العام.

المشاهدة الحقيقية لظواهر الأمور وبواطنها أمرٌ نادرٌ جداً.

يتضح بالمعنى العملي والتعامل المباشر كل ما هو رمزي، في الرياضيات بالدرجة الأولى، من أرقام ومعادلات، وكذلك ما يُعبّر عنه بالكلام، وكل ما هو أولي قديم، كشعر شاعر عبقرى أو كحكمة العقل الإنساني.

تكون الفعاليات التي يجب أن نتنبه إليها حينها نريد أن نكون حقاً مندفعين وناجحين في أفعالنا: فعاليات:

تحضيرية،

مرافقة،

مؤثرة،

مساعدة،

محفزة،

داعمة،

معركة،

وتلك التي تترك آثارها.

كما في الرؤية، كذلك في العمل؛ يجب التفريق بين ما هو سهل المنال وما هو صعب، ومن دون ذلك سيكون الإنتاج في الحياة كما في المعرفة جد قليل.

«الوعي العام هو عبقرية الإنسانية»

يجب أن نقارب الوعي العام الذي نعدّه أحد مظاهر العبقرية الإنسانية، في مظاهره وانعكاساته أولاً. وإذا بحثنا في فائدة الإنسانية منه نجد الآتي:

توقف الإنسانية على الاحتياجات، فإذا لم تتحقق هذه الاحتياجات بدت الإنسانية قلقة، وإذا تحققت بدت غير مكترثة. وهكذا فإن الإنسان العادي يتحرك بين هاتين الحالتين، وسيستخدم وعيه الذي ندعوه الوعي الإنساني، لتلبية كل احتياجاته؛ فإذا حصل ذلك كان عليه أن يملأ مساحات عدم اكتراثه، وسيحقق ذلك حتى لو اقتصرته هذه التلبية على الحد الأدنى الضروري. وإذا ازدادت الاحتياجات وخرجت عن نطاق احتياجات الجماعة بعامة، توقف الوعي العام عن كونه كافياً، وينقطع عن انتسابه إلى العبقرية الإنسانية، وبذلك تتشع الإنسانية بوشاح الأخطاء.

لا يحدث شيء غير معقول إلا ويمكن للعقل أو المصادفة أن تصحح مساره، ولا شيء معقول إلا ويمكن للغباء والمصادفة أن تحرف مساره.

لا تظهر أفكار فذة إلا سرعان ما تبدو طاغية وجائرة؛ لذلك يخبو ما تقدمه من مزايا سريعاً، ويتحول إلى مساوئ. لكن المرء يستطيع أن يدافع عن أي مؤسسة، ويمتدحها إذا ذكّر ببداياتها، وعرف كيف يصوّر أنّ محاسنها التي ظهرت في بداياتها ما تزال قائمة حتى حينه.

قال ليسينغ - الذي قاسى في حياته مرغماً - على لسان أحد شخصوه: «لا أحد ملزمٌ بالالتزام»^(١). وقال أحد الأذكياء المرحين: «من أحبّ شيئاً التزم به». وأضاف ثالثٌ مثقف بلا ريب: «من وافق على أمرٍ رغبه». وبهذا يعتقد المرء أنه قد أحاط بدائرة الإدراك والإرادة والوجوب. ولكن معرفة الإنسان، من أي نوع كانت، هي التي تحدد ما يفعله وما يتركه؛ ولذلك نجد بالذات أن لا شيء يثير الرعب من رؤية الجهل يتحكم في مسيرة الأمور.

هناك سلطتان وادعتان هادئتان: الحق واللياقة.

السلطة - بمعنى أنّ شيئاً يجب أن يُنفَّذ أو يُقال أو يُبتّ به - أمرٌ ذو قيمة كبيرة لا ريب؛ لكن المتحذلق فقط هو من يريد استخدام هذه السلطة في كل مكان وزمان. على المرء أن يحترم الأسس القديمة، ولكن لا يعني ذلك أن يفقد حق البدء في البناء والتأسيس من جديد.

قل ما تريده صراحةً كما تفكر به من دون كثير من التعليل والتفسير، فكل ما نأتي به من براهين وتعليلات ليس إلا أشكالاً من آرائنا، وهذا ما لا يُصغي إليه من يخالفوننا في الرأي على أي حال.

(١) مأخوذة من قول «ناتان» للدرويش في رواية ليسينغ الدرامية (ناتان الحكيم) (١٧٩٧).

كل كائن مثيل لكل ما هو كائن؛ وهذا ما يجعل الوجود يبدو في الوقت نفسه مستقلاً ومرتباً أو منفصلاً ومتصلاً. وإذا اتبعنا التماثل إلى حد بعيد بدت لنا كل الأشياء متطابقة، وإذا تجنبنا هذا التماثل اندثر كل شيء في اللانهاية. وفي كلتا الحالتين يركد التبصر؛ مرةً مفعماً بالحيوية ومرة أخرى ميتاً.

يعتمد العقل على الصيرورة والإدراك، على ما قد صار؛ فالأول لا يهتم به: لماذا؟ والآخر لا يتساءل: من أين؟ والأول يُسرّ بالتكوين والتطور، والآخر يرغب في الاحتفاظ بكل ما يمكن أن يكون ذا نفع.

غريزة فطرية في الإنسان متشابكة متجانسة مع طبيعته، ألا وهي أن التالي لا يكفيه للمعرفة، لأن كل مظهر ندركه يكون هو التالي في اللحظة نفسها، ويمكن أن نطلب من هذا المظهر تفسير نفسه بنفسه إذا ما حاولنا سبر أعماقه.

ولكن هذا ما لن يتعلمه الناس لأنه منافٍ لطبيعتهم؛ لذا لا يستطيع حتى المثقفون أن يدعوا ذلك عندما يدركون أمراً واقعاً محلياً لا يكون متعلقاً بالتالي فحسب بل أيضاً بالأشمل والأبعد، مما يؤدي إلى خطأ يستجر خطأً آخر خلفه. فالظاهرة القريبة ترتبط بتلك البعيدة، بمعنى أن كل شيء يخضع لقوانين شاملة قليلة تُثبت وجودها في كل مكان وزمان.

ما العام؟

الحالة المفردة.

ما الخاص؟

ملايين الحالات.

كل ما نخترعه أو نكتشفه، بالمعنى السامي للكلمة، هو الممارسة المهمة ومزاولة شعور أصيل بالحقيقة، سبق وتكوّن منذ وقت بكل صمت وهدوء،

ويقود فجأةً - وبسرعة البرق - إلى معرفة مثمرة. هو إلهامٌ يتطوّر من الداخل ليظهر على السطح، ويسمح للإنسان بالتفاؤل بخلقه على شاكلة الخالق. هذا الإلهام مزيج من المادة والروح تعطي أقدس أمانٍ ضمن تناسق الوجود.

يجب على المرء ألا يشك في قدرته على فهم غير المفهوم؛ وإلا لما كان الإنسان قادراً على البحث والدراسة.

يمكن فهم أي شيء مميّز إذا أمكن استخدامه بأي شكل كان، وبهذه الطريقة يمكن أن يصبح غير المفهوم مفيداً.

لا تحتاج لأن تدور العالم كله لتتيقن أن السماء زرقاء في كل مكان. يلتقي العام والخاص، فالخاص هو العام ظاهراً تحت شروط وفي ظروف معيّنة.

الصفات الأساسية للكائن الحي: ينفصل ويتحد، يذوب في العام ويحافظ على الخاص، يتحوّل ويتفرّد، كما يتكيّف مع آلاف الشروط والظروف الحياتية المختلفة، يظهر ويختفي، يتجمد ويذوب، يتصلّب ويسيل، يتمدّد ويتقلّص. ولأن كل هذه التأثيرات قد تطرأ في لحظة واحدة، يمكن لكل المظاهر أن تتحقق في وقت واحد: النشوء والفناء، الخلق والتدمير، الولادة والموت، السعادة والألم، تشابك تأثيرات كل ذلك بمعانٍ ومقاييس متشابهة؛ لذا فإنّ أخص الخاص ممّا يحدث، يظهر دوماً كصورة ومثال لأعم العام.

إذا كان الوجود بأكمله انفصلاً واتحاداً أبديين، فلا غرو أن يكون الناس في رؤيتهم لكل ما هو جبار وهائل تارة مختلفين وتارة متفقين.

السؤال الملحّ حول الأسباب، والخلط بين السبب والتأثير والقبول بنظرية خاطئة، كل ذلك نتيجة ضرر كبير لا يمكن تصحيحه.

حينما يشعر أحدهم بعدم ضرورة تكرار ما هو غير حقيقي لمجرد أنه قال ذلك مرّة، فذلك يعني أنه خلّق آخر.

مزية الخطأ أنّ الناس تتحدث عنه دوماً، أما الصحيح فإنه يختفي ما لم يُستفد منه عاجلاً.

من لا يدرك أنّ الحقيقة تسهّل الأمور عملياً يمكن أن يسخر ويعيب كي يجمل مساعيه الخاطئة والشاقة إلى حدّ ما.

من الصفات الرائعة للإنسان العاقل، أنّه يصوّر لنفسه صورة خيالية يتمسك بها عند التعثر بمشكلة لا حلّ لها، ولا يستطيع الفكّك منها، ولو حلّت المشكلة وبانت الحقيقة.

يحتاج المرء إلى حضور ذهني مميّز حتى يدرك الحقيقة اللا مرئية في طبيعتها الخاصة، ويستطيع تفريقها عن الأوهام الكاذبة التي قد تتطفّل على ذهنه بمقدار محدود من الواقعية.

تعرف ما تعرف لنفسك، فإذا تكلمت مع الآخر حول ما تظن نفسك عارفاً به فتيقن أنه أعلم بذلك منك، وعليك أن تستعيد معرفتك إلى داخلك المرة تلو الأخرى.

الحقيقة تشجع وتحفز، في حين يبقى الخطأ عقياً لا نتاج له، قد يربكنا فحسب. يجد المرء نفسه وسط تأثيرات كثيرة، ولا يستطيع أن يمنع نفسه عن التساؤل عن أسبابها؛ وككائن حيّ هادئ يلدجاً إلى التأثير تلو التأثير كأنه الأحسن والأفضل، ويريح نفسه بهذه القناعة؛ هذا شأن الإدراك الإنساني المعتدل.

يرى المرء شراً، فيعكف للتأثير فيه مباشرة، ويقاومه بعلاج مظاهر سوئته وضرره.

يقال: إن الحقيقة تقع بين رأيين متناقضين، وهذا غير صحيح، فالمشكلة، إذا ما فكرنا بهدوء، هي التي تقع بينهما، الشيء اللامدرك، الحياة الناشطة دوماً. يتعلم التلميذ الماهر تطوير غير المعلوم من المعلوم، ويقارب بذلك أستاذه. كل شيء متشابه، كل شيء مختلف، كل شيء مفيد وضارٌّ، ناطقٌ وصامت، عاقل وغير عاقل. وغالباً ما يتضارب ما تعترف به حول بعض الأمور.

نعمند نحن البشر على التوسع والحركة؛ ففي هاتين الحالتين العامتين تتجلى كل الحالات الأخرى، وخاصة الحسّية منها، ولكن لا يعني هذا أنّ الحالات الروحية لا تأخذ قيمتها الحقيقية في حالة ظهورها، شريطة أن يكون هذا الظهور نتاجاً أو تكاثراً حقيقياً. والمنتج ليس أقلّ من المنتج بل ربما كان المنتج أيضاً أكثر فضلاً من المنتج.

لا تستطيع أن تتخلّص مما يخصّك وإن رميته وقذفت به بعيداً. نادراً ما يقبل الشخص الهرم حقيقة أنه قد أصبح قطعة من التاريخ، وأنّ أبناء جيله سيصبحون من التاريخ أيضاً، بحيث لا يرغب بعد ذلك، ولا يستطيع أن يدخل في نقاش مع أحد.

أقوال متنوعة، اعتاد المسنون تكرارها، كانت لها معاني أخرى لا يمكن أن تُستشفّ منها في أوقات لاحقة.

فلنلق نظرة فاحصةً إلى هذه العبارة القيّمة: «اعرف نفسك»، ولا نجد أنها يجب أن تفسّر بالمعنى الصوفي، فهي لا تعني قطعاً المعرفة الذاتية العرفانية التي يعيها أصحاب الوسواس والظرفاء الفكاهيون، ولا أولئك الذين يعذبون أنفسهم، بل تعني بكل بساطة «اهتمّ بنفسك، راقب نفسك، حتى تدرك بوضوح كيف تقف الوقفة الصحيحة أمام نظرائك وأمام العالم

كله»، وهذا ما لا يحتاج بالتأكيد إلى عذابات نفسية؛ فكل إنسان صالح يعرف، ويختبر ماذا يعني ذلك كله: هي نصيحة جيدة تعين عملياً كل إنسان على طريق النجاح.

لنتذكر أقوال العظماء من أسلافنا القدامى، وبشكل خاص أولئك الذين يمثلون مدرسة سقراط، هذه الأقوال التي تشكّل ينبوع الذي نستقي المعرفة منه، والمبادئ التي تسدّد أعمالنا في هذه الحياة، إنها تعصمنا من التأمّلات والنظريات الفارغة، وتدفعنا إلى الحياة والعمل.

إذا كانت برامجنا الدراسية تشير إلى الأقدمين دائماً، وتشجع على دراسة اليونانية واللاتينية، فإننا نرجو أن يحالفنا الحظ باستمرار هذه الدراسات؛ لأنها ضرورية لثقافة أرفع وأوسع.

لأننا حينما نقارن أنفسنا مع أسلافنا بقصد بناء أنفسنا وحضارتنا، يحتاجنا شعور بأننا قد ابتدأنا لتوّنا دخول مرحلة الإنسانية الحقّة.

ولأننا نثق بقناعتنا أنّ بإمكاننا أن نسلّك درب المعرفة الذي سلّكه أسلافنا حتى آخر تفرعاته وتفصيلاته، ونبلغ القمم التي وصلوا إليها في كل العلوم، لتتخذها أساساً معرفياً لنا نبني عليه علومنا ونوسعها ونعمقها. أمّا هل ستكون أساليب العمل في الوقت الحاضر مساعدة أو مثبّطة لنا! فهذا أمر يجب أن نضعه كل يوم أمام أعيننا إذا لم نرد أن نرفض المفيد ونحتفظ بالضارّ.

لذا يجب أن نُصرّ في مسعانا - وبكل طاقاتنا - على تذليل كل الأمور والأفكار الخاطئة وغير اللائقة والقاصرة، وكل ما يمكن أن يسرق طريقه إلى أنفسنا أو ينمو في داخلنا مما قد يسيء إلى تطورنا، ونتغلّب عليها بمقدار ما نستطيع من صراحة ووضوح وإخلاص وصدق.

تزداد الاختبارات صعوبةً مع مرّ السنين.

حينما أتوقف عن تصرفاتي الأخلاقية أفقد كل سلطاتي واحترامي.

ليس الآخر هو من يغشك، بل أنت من يغش نفسه.

إذا مدحت أحداً فأنت تساويه بنفسك.

لا تكفي المعرفة بل يجب التطبيق، ولا تكفي الإرادة بل يجب العمل.

{ لا قيمة لعلمٍ بلا عمل }

الحقيقة الهامة هي نظرة شاملة تشغل عدداً كبيراً من الناس ليعرفوها فيدركوا كنهها، وأخيراً ليعالجوها ويطبّقوها.

يسأل الناس عن الفائدة جرّاء أي ظاهرة جديدة يرونها، وهم بذلك محقون، فلا قيمة لشيء موجود ما لم يتضح نفعه.

يسأل الحكماء الحقيقيون عن الأمر كيف يكون بذاته، وكيف يتفاعل مع غيره، بغض النظر عن فائدته، وهذا يعني أنهم لا ينظرون إلى كيفية تطبيقه على الأمور الأخرى المعروفة أو على كل ما هو ضروري للحياة كما ينظر إليه آخرون أذكاء ومرحون يحبون الحياة.

لا شيء يلحق الضرر بحقيقة جديدة كخطأٍ قديم.

تُثقل عاتق الناس شروطُ الظهور غير المحدودة حتى إنهم لا يستطيعون إدراك ذاك الأزلي الواحد.

من فضائل الأم الممتازة تعويضها أبناءها عن فقدان أبيهم.

كل من لا يمتهن فنناً أو مهارة يدوية، سيصبح في حالة بائسة بعد الآن، فالعلم لا يساعد على التقدم في خِصَم هذه الحياة بنشاطاتها غير الشرعية؛ فما إن يعي المرء ما حوله حتى يفقد نفسه.

يُحْمَلنا التعليم العام أعباء هذه الحياة؛ لذلك علينا ألا نعبأ به، بل نسعى إلى اكتساب الخاص منه.

نصادف الصعوبات الكبيرة حيث لا نتوقعها.

{ من مَأْمَنه يُوْتى الحِذْر }

من يعيش طويلاً في ظروف منعمّة لا يُقَابله كل ما يقابل الإنسان في الظروف العادية، ولكن يقابله ما يشابهها، وربما أيضاً ما لا مثيل له.

تظهر كل فكرة كضيف غريب، وما إن تبدأ بتحقيق ذاتها حتى يُصبح تمييزها عن الخيالات والأوهام عسيراً.

وهذا ما يسميه المرء «إيديولوجيا» بالمعنيين الجيد والسيئ للكلمة، هو ما يجعل المرء الإيديولوجي غير مقبول من عامة الناس العاملين بنشاط وحيوية.

يسعى كل التجريبيين لإدراك الفكرة ولا يستطيعون اكتشافها في هذا التنوع؛ ويبحث كلّ النظريين عنها في هذا التنوع ولا يستطيعون اكتشافها.

ولكن، كلا المجموعتين تتلاقيان في الحياة، وفي العمل وفي الفن؛ هذا كثيراً ما يُقال، ولكنّ قليلين يستفيدون من هذا اللقاء.

يمكن أن يقتنع المرء بفائدة فكرة ما من دون أن يفهم كيف يمكنه الاستفادة منها كاملةً.

توجد بُقع الزيت حيث تشتعل القناديل، ويوجد الفُتات حيث تحترق الشموع، وحدها أنوار السماء تضيء بصفاءٍ ومن دون عيوب.

الكمال معيار السماء، أما الكامل فهو هدف معايير الإنسان.

الواجب هو عندما تحب فعل ما تأمرك به نفسك.

يظن الرجل المنصف نفسه أنبل وأقوى سلطاناً مما هو عليه في الواقع.

كل القوانين محاولات لمقاربة آراء النظام العالمي الأخلاقي في مسيرة الحياة في هذا العالم.

من الأفضل أن تُظلم من أن يكون العالم بلا قانون، لذلك على كل واحد أن ينصاع للقانون.

وقوع الظلم أفضل من إزالته بطريقة ظالمة.

يمكن أن نقول مازحين: الإنسان مكوّن من الأخطاء، بعضها مفيدٌ للمجتمع وبعضها ضار، بعضها قد يستخدم وبعضها لا يستخدم. ما نصفه منها بالجوّدة نسّميه الفضائل، وما نصفه بالسوء نسّميه الأخطاء.

ليس الإنسان بما ورثه بل أيضاً بما اكتسبه.

{ لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل }

علينا أن نعمل على تحسين صفاتنا، لا مزايانا.

الطبع بشكل عام فيما صَغُر وكَبُر من الأمور، هو أن يعطي المرء تسلسلاً ثابتاً لكل ما يعتقد بنفسه القدرة على القيام به.

يلحظ المرء مباشرةً أين تُفتقد الصفتان الضروريتان: العقل والسلطة.

أراؤنا تكمل وجودنا؛ تستطيع أن تتبين ما ينقص المرء من خلال تفكيره. الإنسان الضحل يُعنى بنفسه كثيراً، والبارع سيئ الظن والفاسق وقح، والجيد كثير الخوف. هكذا يشعر الجميع بالتوازن؛ كلٌ يريد أن يكون مكتملاً أو يشعر بذلك على الأقل أمام نفسه.

من وجهة نظر تاريخية؛ يظهر الجيد لدينا في ضوء معتدل، أما نقائصنا فتعتذر عن نفسها.

لا يُحِبُّ من لا يرى أخطاء الحبيب فضائل.

لا تستطيع أن تحب أحداً ما لم تكن واثقاً من وجوده إلى جانبك عند حاجتك إليه.

لا يعرف المرء إلا أولئك الذين يؤذونه.

لا يراقب المرء إلا أولئك الذين يؤذونه أو يتوقع أذاهم. فإذا أردت أن تجوب العالم من دون أن تُعرف فلا تُسَيِّء إلى أحد ولا تؤذِ أحداً.

أن تعيش مع أحدٍ أو أن تعيش في داخل أحدٍ فثمة فرق كبير. ثمة أناس يمكن أن تعيش في دواخلهم من دون أن تعيش معهم، وهناك من هم عكس ذلك. لا يستطيع توحيد هذين النوعين إلا حبُّ صافٍ أو صداقةٌ خالصة.

من الأفضل أن يخدع المرء نفسه من أن يخدع أصدقاءه.

عندما ترى ثلَّةً من الناس غير مسرورين بوجودهم معاً، يُمكنك القول: غالباً إنهم جميعاً على خطأ.

ذئبٌ في فروة الشاة أقلَّ خطراً من الشاة في فروة أخرى تحسبها أكثر من حمَلٍ وديع.

لا تقل: إنك تريد أن تعطي؛ بل أعطِ! فأنت لا تستطيع أبداً أن تحقق الأمل.

يحتاج العمل إلى الموهبة، وعمل المعروف إلى الثروة.

ليس من المهارة أن تحوّل إلهةً إلى ساحرة، أو عذراء إلى عاهرة، بل العكس هو الصحيح، أن تمنح المحتقر كرامةً وتجعل المنبوذ محبوباً؛ وذلك يتطلب مهارة أو شئائل طيبة.

لا توجد حالةٌ لا يمكن السموّ بها، إما بإتقانها وتعميمها وإما بالصبر عليها.

تصفح عن اليأس وتمنح الفقير العمل.

أحسّ الإيمان والحب والأمل^(١) ذات يوم وذات ساعة هادئة، بدافعٍ مُميّز في طبيعتها؛ واجتهدت مجتمعةً لتخلُق كائناً لطيفاً، قيّارةً بمعناها السامي، سمّتها: الصبر.

الشهوة لعِبُّ مع ما تبغي التمتع به، ومع ما استمتعت به.

من الغباء أن تصف عدوك بالصغار بعد موته، ومن الصفاقة أن تستصغره بعد انتصارك.

مهمة الأناص الطامحين التي لا تُحلُّ إلا بصعوبة هي الاعتراف بخدمات من سبقوهم وبإنجازاتهم، وعدم التعثر بما قصّروا عنه.

الشرّ الكليّ هو أن يرغب الشخص في أن يكون كما يريد وكأن الآخرين من حوله لا شيء.

لا يظهر طبعُ المرء على حقيقته وبشكل واضح، مثلما يظهر حينما يتكلّم أمام شخص عظيم أو عن حدثٍ استثنائيّ، هذا هو المحكّ الحقيقي.

لا قيمة لأولئك الناس الذين لا يعرفون كيف يقدمون أي شيء صالح.

لماذا يسمع المرء دوماً كلاماً مشوهاً؟ يعتقد (الكل) أنهم يقدمون شيئاً كثيراً إذا اعترفوا بأقل خدمة.

(١) يعود هذا التعبير إلى المخطوطة الفلسفية التي وضعها الكاتب الإغريقي Plutarch (١٢٠-٥٠)، وقد طُبِع لأول مرة في الطبعة التي أعدتها Jutta Hecker ونشرت سنة ١٩٤٢ في لايبزيغ، من كتاب «أفكار وتأمّلات».

يكره المرء ما يعتقد أنه لم يفعله بنفسه؛ ومن هنا نشاط الروح المعنوية للأحزاب. كذلك يعتقد الأحمق أنه يفعل الأفضل، ولا يقيم أي اهتمام للعالم كله.

الشعور بالأنانية كالريفي الذي يعتقد أن ريفه مركز للبلاد.

لا أحد قادر على التفكير بأن المرء يمكن أن يخلق شيئاً ويحميه إذا أنشأ جماعة متوحدة.

يصبر المرء على كثير في سياق حياته الفاعلة، سواء بسبب القديم أم الجديد المستحدث.

يمكن أن تمنع صدور الحكم، ولكن لا يمكن أن تلغي عواقبه إذا صدر. يُفترض أن يكون التسامح حالة معنوية عابرة، ويجب أن يؤدي إلى الاعتراف بالآخر. والصبر على السوء إساءة.

حرية الفكر الحقيقية هي الاعتراف بالآخر.

لا يلبث المرء أن يعود إلى من يتعاطف معهم وينسجم معهم وجدانياً وفكرياً مهما ابتعد عنهم أو ابتعدوا عنه، أما المخالفون له فسينفصلون عنه، وينفصل عنهم مهما طال اللقاء.

تفقد الحقيقة المكررة نكهتها، أما الخطأ المكرر فيسبب الزيادة في الاشمئزاز. يُعجَب الجميع بما هو مستحيل وخطأ لأنه يتسلل إلى النفوس، أما الحقيقة الفظة والكلمة الغليظة فلا؛ لأنها تنغلق على نفسها.

المعقول وغير المعقول يلاقيان المعارضة.

سواء قلت الحقيقة أم أيدت الخطأ، فستلقى المعارضة في كلتا الحالتين. يعتقد معارضوننا أنهم ينقضون آراءنا إذا كرروا آراءهم ولم يلتفتوا إلى آرائنا.

على أولئك الذين يجادلون ويعارضون أن يدركوا أن ليست كل لغة مفهومةً من (الجميع).

لا يسمع أحدٌ إلا ما يفهمه.

الجواب الصحيح كالقبلة الحارة.

هناك أناس يتوهمون أنهم يفهمون كل ما يعرفون.

من يستطيع القول: إنه اختبر شيئاً إذا لم يكن خبيراً؟

ما نقوله هو للحاضر، للحظة القائمة وما تكتبه هو للمستقبل، لما هو آتٍ.

لا تسأل عن التطابق في الرأي، بل عن التوافق في التوجه الفكري.

كل الحجج الخاطئة سارية المفعول عند الدمار، لا عند البناء قطعاً.

ما ليس صحيحاً لا يبني.

ليس العالم الحالي جديراً بالقيام بشيء من أجله، لأنه يمكن أن يزول

في لحظة واحدة. لكن علينا العمل للماضي والمستقبل؛ نعتز بما قدم لنا

الماضي، ونعمل على رفع مستوى قيمنا في المستقبل.

كم عام يبقى المرء بلا عمل حتى يعرف، ولو لبعض الشيء، ماذا

وكيف يعمل!

لا أسوأ من رؤية عمل مستمر بلا أساس يُبنى عليه. السعيد هو ذلك

الذي يعرف كيف يكون ذا أساسٍ متين، وكيف يضع الأساس الصحيح؛

وهذا يحتاج إلى موهبة مزدوجة.

المثابرة الدائمة هي أقل شيء يمكن أن تثابر عليه؛ لأنها تأتي في النهاية

بظواهر غير طبيعية تتحوّل وتتقلب.

ضع حَجْرَكَ على طول خيط البناء حينما تبني، ولا تضع خيط البناء
وفق حجرِكَ.

إذا أخطأت العروة الأولى فلن تكون أزرارك مقفلة بشكل صحيح.
لا يمكن أن تتقدم مثلما تتقدم حين لا تعرف إلى أين تسير.
من يقضِ حياته في عمل يتبيّن بعده نكرانَ الجميل، فإنه سيكره هذا
العمل، ولكن هيهات أن يستطيع التخلص منه.
فليسأل كلُّ منّا نفسه: بأي شعور، وبأي سلطة، يمكن له أن يترك أثراً
في زمانه؟!

جملٌ مُنْهَكٌ يحمل أحمال عدد من الحمير.
من يُرد أن يتقدم على الآخرين يغشّ نفسه غالباً، لأنه يعمل ما يستطيع
ويتصور أنه عمل كثير؛ أكثر بكثير مما عمله الآخرون.
حاول أن تضع لسلطتك أساساً متيناً، فالسلطة المتينة حيث المهارة البارعة.
لا يظنُّ أحدٌ أن بالإمكان أن يتظره أحدٌ كما يُتظر السيد المسيح المخلص!
اللحظة هي نوع من أنواع الجمهور، يجب أن تغشها لتظنّ أنّك تقوم بعملٍ
ما؛ فستترك حينذاك تفعل ما تشاء سرّاً ليعجب به أحفاد هذا الجمهور.
النهارُ بحد ذاته بائسٌ وتعسٌ؛ إذا لم تُمسك بقليله فلن تصل إلى كثيره.
اليوم بحد ذاته، مفرداً، هو للأخطاء والخطايا، أما تسلسل الأيام
والأزمان فهو للنجاح والفلاح.

سيد يومه هو ذاك صاحب النظر البعيد.

الحياة كلها عبارة عن مكوّنين اثنين: الإرادة وعدم التحقيق، والتحقيق وعدم الإرادة.

الإرادة والتنفيذ لا يستحقان التعب، وهما أتفه من الكلام عنهما. ليست حياة كثير من الناس إلا كلاماً تافهاً، وتصرفاتٍ يوميةً لا قيمة لها، ودسائس ذات تأثير عارض.

لو كانت القِرْدَةُ قادرة على الملل لكان بالإمكان أن تصبح من البشر. الحياة للذكي سهلة إذا كانت صعبة للأحمق، لكنها غالباً ما تكون صعبة على الذكي وهيئة على الأحمق.

«ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة بالشفقة ينعم» - «أبو الطيّب المتنبي».

من الأفضل أن تترك الغباء يسير على ما هو عليه من أن تعينه بشيء من الحكمة. فالحكمة تفقد تأثيرها عندما تمزجها مع الغباء، والغباء تسيّره طبيعته.

لا فائدة للعالم من أفكار لا تنبع من الطبيعة الحيّة ولا تنعكس تأثيراتها خيراً على الحياة العملية، لئنشأ وتزول بلا انقطاع في تغيير متنوع ومتعدد الأوجه يتناغم مع كل حالة تمر بها هذه الأفكار في حينه.

يسعى الناس العمليّون لترتيب العالم، ويسعى المفكّرون لقلبه رأساً على عقب. وسيرى كلا الفريقين مدى نجاحه في تحصيل مبتغاه.

الواقعيّون: لا يُطلب ما لا يمكن تنفيذه.

المثاليّون: ليس من الضروري التنفيذ المباشر لما يُطلب.

الاجتهاد صفة كل مثالي، والصبر صفة كل واقعي.

أروع شيء في هذه الحياة هو الثقة بأن آخرين يمكن أن يسيروا بنا على الطريق القويم، فإذا فقدنا تلك الثقة فإننا سنتخبّط ونتلمّس طريقنا في المجهول؛ وإذا لم نفقدوها فإننا أيضاً سنجد أنفسنا سريعاً على الطريق المعوجّ.

يعتقد المرء أنّ على الآخرين أن يتعايشوا معه، لأنه لا يستطيع هو نفسه أن يكون متصالحاً مع نفسه.

يخاف النارَ الطفلُ الذي احترق مرّة، ولكن غالباً ما يخشى الشيخ المحروق أن يتدفأ.

كم يستطيع التدريب التأثير! المشاهدون يصرخون والمنهزم يصمت. أي كسبٍ كان سيقى مدى الحياة لو أنّ المرء عرف مسبقاً أو في الوقت المناسب أنّ أفضل شيء لبقاء جميلته إلى جانبه هو مديحه لنفسه. آنذاك، ينشرح صدرها ولا تخاف أن تجرح مشاعر أحدهما ولا تخشى بعد ذلك أن تفقدهما، فيبقيان كلاهما موضع ثقتهما ويسعدان كلاهما بأنّ ثمار تلك الشجرة لهما إذا كان لديهما ما يكفي من روح الدعابة، وسيتركان الأوراق الساقطة للآخرين.

إذا لم يُعجبني أمرٌ ما، أغضّ الطرفَ عنه أو أصلحُه.
من يَغضّ في أعماق نفسه يجد أنه ليس كاملاً، يبحث بعد ذلك عن فتاة أو عن عالمٍ آخر ليكمل نفسه؛ سيّان فعل ذلك أم لم يفعل!
هل يعرف العصفور ما يشعر به اللقلق؟!

الناس الأصحاء هم أولئك الذين يكون في كل جزء من تركيبهم العضوية والعقلية شيء من الحياة الخاصة بهم.

لا يفكّر المرء إلا حينها يستحيل التفكير في الأمر الذي يفكّر فيه!

لو لم يكن الحكماء يخطئون لكان الحمقى يقنطون.

بعضهم يفخر بما يعرفه ويتكبر عمّا لا يعرفه.

من ير نفسه مجبراً على الخوض في علم ما، يجد نفسه مخدوعاً أو سيخدع نفسه بنفسه، إذا لم يُضطرّ إلى ذلك حتماً بعوامل خارجية. من يريد أن يكون طبيباً لو قُدّر له أن يرى في مرّة واحدة كل أولئك المرضى الذين سيأتون إليه!؟

التاريخ كالكوّن، يمثلها قسم واقعي وآخر مثالي.

القسم المثالي يشمل القروض، والواقعي يشمل الملكية والقدرة الجسدية وما شابه...

الإقراض فكرة تدل على الأمانة، نشأت نتيجة أعمال واقعية.

يكاد كل شخص يشعر أنه متميّز عن الآخرين.

الضرورات الطبيعية: لا يستطيع الإنسان أن يهرب منها ولا أن يتجنبها كما لا يكتسب شيئاً منها، إلا أنه يستطيع أن يلتزم بها ولا يتعجلها.

المجتمع: لا يستطيع الإنسان أن يُفلس من مجتمعه ولا أن يتحاشاه، بل يستطيع أن يكتسب منه السماح له بالتمتع بكل مزايا المجتمع، هذا إذا تنازل عن شعوره الذاتي بالتميّز.

ما نسميه أزياء ليس إلا تقاليد آنيّة، فالتقاليد كلها تترافق مع ضرورة محددة؛ ضرورة أن تسايرها.

مع التقدم في السن يقف وعي المرء وإدراكه عند سقف محدد.

لا يليق بالسنّ أن يجري وراء العصري والحديث، أكان ذلك في التفكير أم في اللباس.

لكن يجب على المرء أن يعرف أين يقف هو وأين يقف الآخرون.

السنون ككتب العرّافين^(١)، كلما أحرقتها زادت قيمتها.

إذا كان الشباب خطيئة فسرعان ما يتركها المرء.

إدراك مزايا الكهولة في الشباب وإدراك مزايا الشباب في الكهولة،

أمران لا يعرفهما إلا سعيد الحظ.

لا يغش المرء نفسه حين يتوقع الكثير في شبابه، لكن عليه أن يبحث

عن أمانيه في قلبه وليس في خارجه، كما كان يبحث عن الانتقام في قلبه.

ليس للآباء والأولاد إلا أن يموتوا قبل بعضهم أو بعد بعضهم، ولكن

لا يدري المرء في النهاية ما هو الأفضل.

لِكُلِّ فراقٍ نواةٌ من الجنون، وما على المرء إلا أن يتوقف عن التفكير في

إنهاء هذه النواة ورعايتها.

حقيقة غريبة؛ لا يبقى من الكائن الإنساني إلا ما هو عكس طبيعته:

قوقعته وهيكله حيث كانت الروح مقيمة في هذه الدنيا، لكن آثاره المثالية

التي يتركها بالكلمة والعمل ترافق روحه.

الحقيقي والعام هو ما ندركه ونحافظ عليه، والعاطفي والخاص هو

ما يعرفنا ويُمسك بنا.

(١) ورد في النص الأصلي «كتب (Sibylle)» وسيبيل هذه كاهنة عرّافة عرضت على

الملك Tarquinius Superbus تسعة من كتبها وطلبت ثمناً رآه الملك مرتفعاً فأحرقت

ثلاثة منها وعرضت الباقي على الملك فوجد السعر مرتفعاً أيضاً فأحرقت الثلاثة

الأخرى وعرضت الثلاثة المتبقية فاشتراها الملك بأغلى مما طلبته في البداية ثمناً

للكتب التسعة.

أما الثالث وهو الكلامي، فيتأرجح بين الحقيقة والعاطفة.

المزاج أمرٌ يختص باللاوعي، ويستند إلى الشهوانية.

يظهر الشعور بالمرح والسخرية حينما لا يكون العقل في توازن مع الأمور الواقعة، فهو إما أن يحاول السيطرة عليها ويخفق في ذلك؛ وهذا هو المرح المزعج أو السخرية، وإما أنه يستسلم لما هو واقع ويدع نفسه في مهب الريح إنقاذاً لماء الوجه؛ وهذا هو المرح الجذِل أو الجيد الذي لا يُفقد العقل كرامته. ويتمثل العقل في هذه الحال بالأب الذي يتواضع، ويلعب مع أولاده، ويتقبل المزاح منهم أكثر مما يعطيهم. في هذه الحالة يؤدي العقل دورَ الطفل، وفي الحالة الأولى يؤدي دور مُعتَلّ المزاج.

يمارس العبقرى نوعاً من كليّة الوجود؛ قبل الخبرة بشكل عام، وبعد الخبرة بشكل خاص.

حظ العبقرى ولادته في الأوقات الخطرة والقاسية.

المواهب الكبرى أجمل وسائل التصالح.

يسعى العبقرى بوعيه الكبير ليسبق زمانه، أما الموهوب فيسعى بعناده إلى إيقاف الزمن.

قلماً تترك الفطنة وحِدّة الذكاء الرجالَ الظرفاء حتى لو كانوا على باطل.

أسوأ ما يمكن اجتماع الناس الضعفاء السطحيين مع أولئك الخياليين.

يا له من زمن سيء نحسد فيه من بات تحت التراب.

لا يأبه المرء لما هو غير أصلي وطريف، أما الأصلي والطريف فيتحمل

كل رذائل الفرد.

هناك متحمسون عمليون، يعربون، ولو بحق، عن إعجابهم بمنتج جديد
بنوع من النشوة والحماس، كما لو أنه لا يوجد في العالم كله أفضل من ذلك.
لا أمة تحكم إلا على ما فعلت أو كتبت. يمكن قول ذلك عن كل
زمان أيضاً.

لا تنس أن الأحكام التي يسري مفعولها في كل الأزمنة، ولدى كل
الأمم، نادرة جداً.

تُتقد الأمم بحجم أعمالها المميّزة والبارعة والصالحة.

المفهومُ مجموع الخبرة، والفكرةُ نتيجتها؛ فالمفهوم يحتاج إلى العقل
ليستجمعه، والفكرة تحتاج إلى الفطنة لتدركها.

الفكرة هي ما يظهر أمامنا دائماً، ولذلك فهي تقابلنا كقانون للظواهر.
التفكير أهم من المعرفة، لا من الملاحظة.

ابحثوا في أنفسكم فسترون كل شيء، وكونوا سُعداء إذا كان ما حولكم
- إن شئتم أن تسموه الطبيعة - يقول دوماً: نعم وآمين لكل ما وجدتموه في
أنفسكم.

ما كل رغبة تستطيع تحقيقها، وما كل قيمٍ يمكنك أن تدركه.

من ير نفسه محدود المعرفة فهو إلى الكمال أقرب.

حينما لا يستطيع الناس الوصول إلى ما هو ضروري يجهدون أنفسهم
بها لا فائدة منه.

المستون يشبهون يد الحكمة.

الحكمة فن الفنون، واليد أداة كل حرفة.

الحواس لا تخدع، الحكم على الأمور يخدع.

الإنسان مزوّدٌ بما يكفيه للتعامل مع كل الأمور الأرضية، إذا وثق بحواسه وهذّبها بشكل تبقى معه جديرة بالثقة.

الارتياح الفعّال هو ذلك الذي يجهد نفسه حتى يصل نتيجة خبرة مننّمة إلى نوع من الثقة المشروطة.

الأمر العامّ في منطق كهذا هو الاتجاه إلى البحث عمّا يمكن أن يكون مقدّمة حقيقية لأمر ما، على أن يجري هذا البحث بهدف التثبّت من أنّ ما اختبر مؤهّل حقاً للاستخدام العملي.

أروع شيء في هذا العالم عقلٌ حيٌّ موهوب يستطيع أن يستند إلى الأمر التالي لما يكون فيه، من وجهة نظر عملية.

كلّما ازدادت خبرة المرء اقترب من المجهول، وكلّما ازدادت فائدته من خبرته أدرك أن لا فائدة عملية للمجهول.

يكون المثقف المفكّر ذا حظ سعيد عندما ينهي بحث ما جعله معلوماً من الأمور بعد أن كان مجهولاً، ويحترم المجهول بنفسٍ رضيّة.

نعيش ضمن ظواهر تنتمي إلى أصلٍ نجهله، ولا ندري كيفية الوصول إليه.

كل شيء أبسط مما يظنّ المرء، ولكنه أعقد من أن يُدرك.

طبيعةٌ خاصة لا تفوتنا ملاحظتها: لا يكتفي المرء بما يعرفه ببساطة بل يندفع نحو المسائل المعقدة التي يمكن ألا يستطيع إدراكها مدى حياته. إنّ ذلك الأمر البسيط المفهوم مفيد وقابل للاستخدام بلا ريب، ويمكن أن يملأ علينا حياتنا كلها إذا كان كافياً ومنعشاً لنا.

من يدافع عن الباطل فإنّ لديه كلّ الأسباب حتى لا يبرز في مجتمعه، ولكي يعيش عيشة هادئة. أما من يشعر بالحق إلى جانبه فسيبرز بوجهه مخشوشن، فالحقُّ ليس خجولاً أبداً.

الإمساك بالحقيقة بحاجة إلى صوت أقوى مما يحتاجه الدفاع عن الباطل. تقود المفاهيم الأولية، وبخاصة أكثرها ضرورة حول العلة والمعلول، حول المسببات والنتائج، إلى أخطاء عديدة متكررة عند استخدامها. الخطأ الكبير الذي نقترفه هو أننا نجعل السبب والتأثير الناتج عنه مرتبطين دائماً كما القوس التي تشدُّ السهمَ لتطلقه، ومع ذلك لا يمكننا تجنّب هذا الخطأ لأن السبب وتأثيره مرتبطان في التفكير، وبذلك مقتربان في العقل. الأسباب القريبة المعقولة محسوسة، ولذا فهي خاضعة للإدراك بسهولة، وهذا أحد أسباب تفكيرنا الآلي بما هو من مستويات أرفع.

أفضل ما يكون الإخبار عن شيء بعرضٍ مثيله؛ فالحالة المماثلة لا تفرض نفسها بعنف، ولا تبرهن على شيء، وإنما تضع نفسها قبالة حالة أخرى من دون الارتباط بها. فالحالات المماثلة العديدة لا ترتبط مطلقاً بنظام واحد إلا أنها كالمجتمع الجيد تتعايش، وتحفّز أكثر ممّا تعطي.

أن نُخطئ يعني أنك في حالةٍ لا تشعر فيها بوجود الصحيح؛ فاكتشاف الخطأ عندك وعند غيرك هو اكتشاف تراجمي.

هالات كلّ ما هو حقيقي وصحيح في تماسٍ دائم، أما الأخطاء فهي في عوالم متباعدة^(١)، حيث تجد المساحة اللازمة لتنشأ وتسد.

(١) يعود التعبير إلى الفيلسوف الإغريقي إبيقور الذي كان يعتقد أن هناك مسافات فارغة بين العوالم المتعددة.

ثلاثة لا تعرفها إلا في أوقاتها:

البطل في الحروب

والحكيم عند الغضب

والصديق عند الضيق.

ثلاثة أصناف من الحمقى:

الرجال بحال الغطسة

والفتيات عند العشق

والنساء عند الغيرة.

مجنون هو من:

يعلم المجانين

ويجادل الحكماء

ويتأثر بالكلمات الفارغة

ويصدق العاهرات

ويعطي سره لمن لا ثقة فيه.

من يجب أن يكون صابراً؟

ذاك الذي يسعى إلى عملٍ جليل

ومن يصعد الجبال

ومن يُطعم الأسماك.

نزاعات

الطفرة في الطبيعة وفي الفن.

العقبري القادم في الوقت المناسب.

الأمر المُعدُّ بإحكام.

الحازم وليس فظاً.

وأيضاً ليس مستهلكاً.

وكذلك من هو مع التنظيم والترتيب.

وهنا تحدث الطفرة في الطبيعة فقط إذا كان كل شيء مُعدّاً ثم برز إلى الواقع أمرٌ رفيع على جانب كبير من الأهمية.

علاقات الأمور مع بعضها حقيقية صحيحة. الخطأ لدى الإنسان فقط. لا شيء حقيقي لديه إلا أنه يُخطئ، ولا يستطيع أن يجد العلاقة الصحيحة مع نفسه ومع الآخرين وسائر الأمور من دون هذا الخطأ.

المعرفة أهم شيء لاكتساب الخبرة، وهي تقود دائماً إلى العموميات.

انتبه لمعرفة من يصيب «النقطة القافزة»^(١) في الجدل.

وُجد الإنسان واقعاً في عالم واقعي، ومُنح تلك الوسائل التي تؤهله لإدراك الواقع إلى جانب الممكن واستحضارهما. وكلّ الناس الأصحاء مقتنعون بكيونتتهم وبكينونة الآخرين من حولهم. إلى ذلك فهناك بقعة خالية في الدماغ، بمعنى أنّ هناك موضعاً لا يقوم بأي مهمة عقلية أو حركية كما هي الحال في العين، حيث توجد نقطة لا تعكس أي صورة، فإذا انتبه

(١) التعبير لاتيني punctum saliens وقد فهم غوته من هذا التعبير؛ آخر ما تبقى لدى كل الكائنات من مكوناتها الأزلية.

المرء إلى هذا الموضع العاطل في دماغه وأولاه اهتمامه وقع في نوع من المرض العقلي وأخذ يتصوّر «أموراً من عالمٍ آخر» هي في الحقيقة لا شيء، وليس لها شكل أو حدود وإنما هي مساحات مظلمة فارغة تخيف صاحبها وتلاحقه كأشباحٍ مرعبة إذا لم يستطع أن ينتزع نفسه من برائتها.

الحياة هي أثنى ما حبانا الله والطبيعة، تلك الحركة التي تدور حول نفسها لا تعرف الراحة ولا الاستقرار، ذلك الدافع الذي يرعى الحياة ويهتم بها، والمتأصل فطرياً في كل شخص، إلا أنّ خصوصيته تبقى مجهولة لنا ولغيرنا.

الهبة الثانية من ذلك الكائن الرفيع هي ما نعيشه، ما ندركه، هي تلك الحركة الحيوية في محيط العالم الخارجي، حيث تدرك هذه الحركة نفسها، أولاً داخلية غير محدودة، وثانياً محدودةً في العالم الخارجي. يمكننا أن نفهم في قرارة أنفسنا الأمور التي نعيشها أكانت فطريةً أم ملاحظةً أم مصادفةً، ولكنها تبقى للآخرين دوماً من الأسرار.

والثالثة هي ما نوجهه للعالم الخارجي من تصرفات وأعمال ومن أقوال ومخطوطات، وهذا يخص الآخرين في الحقيقة أكثر مما يخصنا، إلا أنّ العالم الخارجي وإن كان يمتلك القدرة على تفهم وتقويم كل ذلك أكثر منا، فإنه يبقى في حاجة إلى معرفة كثير مما عايشناه ونعايشه، ومما اخترناه ونختبره، كي يكون فهمه أوضح وأدق. لذلك فالإنسان يتوق إلى معرفة مرحلة الشباب الأولى ومراحل التعليم وتفاصيل الحياة، حتى الطرائف وما شابه.

ولا غرو، فلهذا التأثير نحو الخارج تأثير عكسي مباشر، فيمكن مثلاً للحب أن يحفزنا ويدفعنا في اتجاه معين، كذلك يمكن للبغض أن يعيقنا. يبقى هذا الصراع في الحياة دائماً، إذ يبقى الإنسان متوازناً بطبيعته وبإحساسه في كل ما يتعلق بالمودّة والنفور.

مما نعيشه ونختبره أيضاً هو كل ما يفعله أصدقاؤنا لنا ومعنا، لأنّ ذلك يقوّي شخصيتنا ويشد من أزرنا. أما ما يفعله أعداؤنا فلا نعيشه وإنما نعرفه، نرفضه ونحمي أنفسنا منه، كما نقي أنفسنا من الثلج والعواصف والمطر وحبّات البرد، وكما نتجنب كل سوء يمكن أن يأتينا من الخارج.

تأتي كل نظرة شاملة من نتيجة سابقة لتعطي هي بدورها نتيجة لاحقة، وهي حلقة وسطى في سلسلة إنتاجية متصاعدة كبرى.

لفت «كانت»^(١) انتباهنا إلى أنّ هناك نقداً عقلياً يتمثل في تلك القدرة التي هي أسمى ما يملك الإنسان، التي هي سبب مراقبة المرء لنفسه، والعمل على حفظها. ويمكن لكلّ منا أن يختبر بنفسه كم هي كبيرة تلك المزية التي يمنحنا إياها ذاك الصوت الداخلي. ولكنني أودّ في هذا السياق أن أطرح مسألة ضرورة نقد الحواس، إذا أُريدَ للفنّ، وخاصة الألماني، أن يتعافى ويزدهر ويتقدم بخطوات حيوية تبعث السرور في الأنفس.

من يكتفي بخبرة صادقة صافية، ويتصرف وفقها، فهو يمتلك واقعية كافية. والطفل الناشئ حكيمٌ بهذا المعنى.

لا قيمة للنظرية بحدّ ذاتها، بل قيمتها في أنها تجعلنا نعتقد بترابط الظواهر.

يقرب المجرّد إلى عقل الإنسان باستخدامه، وهكذا يصل عقل الإنسان بالعمل، والملاحظة إلى التجريد.

تفكيرنا بالقياس لا ملامة عليه؛ فمزية القياس أنه لا يغلق الأبواب، ولا يسعى إلى نهاية، وعلى العكس من ذلك فإنّ الاستقراء مفسد، لأنه يضع نصب عينيه هدفاً محدّداً، ويسعى إليه جارفاً معه كلّ ما هو صحيح وخطأ.

(١) هنا إشارة إلى كتاب عمانويل كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤): {Kritik der reinen Vernunft} (١٧٨١).

أما الانتقائي أو التوفيقى فهو ذلك الذي يصطفي، مما حوله ومما يدور من حوله، ما يتلاءم مع طبيعته؛ ويدخل تحت هذا المعنى كل ما هو متعلق بالتربية والتقدم، أكان ذلك نظرياً أم عملياً.

نحن من القائلين بوحدة الوجود في أبحاثنا في الطبيعة، ومشركون في شعرنا، وموحدون في أخلاقنا.

التصوّف: شعراً غير ناضج، فلسفةً غير ناضجة.

الشعر: طبيعةً ناضجة.

الفلسفة: عقلٌ ناضج.

اللغة المجازية: عالمُ الشعر. والإيضاح الافتراضي: عالم الفلسفة.

تعامل المرء طويلاً مع النقد العقلي؛ ولكنني أود التعامل مع نقد الإدراك الإنساني. إنه عمل صالحٌ وصادقٌ للجنس البشري إذا استطاع المرء أن يُفنع الإدراك العام بمدى قدرته على الانتشار، وأن هذا يكاد يكون كل ما يحتاجه في حياته الأرضية.

«نظرة عن كتب: الفلسفة كلها ليست إدراك الإنسان بلغةً مبهمّة مشوشة».

لا يخطئ إدراك الإنسان الذي يعتمد في الحقيقة على كل ما هو عملي، إلا حينما يجرؤ على محاولة حلّ المسائل التي تدقّ عن الأفهام؛ ولكن نظرية رفيعة قد تجد نفسها نادراً في الدائرة التي يوجد فيها هذا الإدراك.

الجدلية صنيعة روح العناد التي أعطيت للإنسان حتى يتعلم التمييز بين الأشياء ومعرفة خصائصها المختلفة.

خدمةٌ كبيرةٌ تقدمها للعقل الإنساني إذا حررته من فرضية تحدّ منه بلا فائدة، وتجبره على رؤية الأمور رؤية غير صحيحة، وعلى مقارنة الأمور

بشكل مغلوط، بدلاً من الملاحظة والبحث، ومن الخلوص إلى الحكم الصحيح والفسفسطة. وهكذا يرى الظواهر بشكل أفضل، وفي علاقات وارتباطات أخرى، ويرتبها على طريقته، ويحصل في الوقت نفسه على فرصة الخطأ بنفسه وعلى طريقته، وهي فرصة قيمة إذا استطاع نتيجة لها أن يقتنع بخطئه ويصححه.

لا يتحرر المرء من الظاهرة التي يلحظها بل تندمج وتتشابك مع شخصيته الفردية.

هناك أمرٌ حتمي مجهول في الموضوع يقابله أمرٌ حتمي مجهول في الذات.

كلّ ما في الذات موجود في الموضوع وربما أكثر.

كلّ ما في الموضوع موجود في الذات وربما أكثر.

نحن ضائعون أو مستترون في حالة من الازدواجية:

نعترف للموضوع بأهميته، ونؤكد على أهمية ذواتنا!

يختلف الناس، وسيقون على خلاف، حول فوائد وأضرار نشر الإنجيل المقدّس. لكنّ من الواضح لي أنّ هذا النشر سيقى ضاراً كما كان بسبب استخدامه عقائدياً ووهيمياً، ونافعاً كما كان بسبب القبول به تعليمياً وعاطفياً.

الاعتقاد بالخرافات من طبيعة الإنسان، ولكن إذا اعتقد المرء أنّه تخلص من هذا الاعتقاد، فإنّه يهرب ليختبئ في أغرب الزوايا والأركان، وليظهر فجأة حين يظنّ أنّه بأمان نسبي.

ليست التقوى هدفاً بحدّ ذاتها، بل هي وسيلة للوصول إلى الثقافة الأرفع عبر راحة الضمير الصافية.

لذلك نرى أن أولئك الذين يتخذون التقوى وسيلة وهدفاً ليسوا إلا منافقين في أغلب الأحوال.

المسيحية تتعارض مع اليهودية أكثر بكثير من تعارضها مع الوثنية. الديانة المسيحية ثورةٌ أُريدت سياسيةً فشلت، وتحولت إلى أخلاقية. هناك رجال دين يتمنون لو لم يكن في هذا العالم إلا إنسان واحد خلّصه الله من الآثام، إذاً لما كان في الأرض مارقون ملحدون.

«توهنُ الكنيسة كلَّ من يقرب منها»

لو أراد الله لهدى الناس جميعاً إلى طريق الحياة المستقيمة والعمل الصالح، ولكان نظامُ حياتنا مختلفاً تماماً.

... تتجلى شرور النزاعات الدينية التي لا بُرءَ منها، في قسمٍ منها، بمحاولة إعادة الاهتمام الأكبر للإنسانية بالخرافات والكلمات الفارغة، أما القسم الآخر فباعتماد بعضهم أن لا سبيل إلى راحة النفوس.

ما حاولت أن أفعله في حياتي عبر توجهات مغلوطة، قادني في النهاية إلى فهمٍ صحيحٍ لما فعلته.

أجدى نفعاً من معارضة أقوالى العمل وفق شعوري وعقلي.

أستطيع أن أعدّ بأن أكون مخلصاً وصادقاً، لا أن أكون غير متحيّز.

إذا عرفت علاقاتي مع نفسي ومع محيطي فتلك هي الحقيقة. وهكذا يكون لكلّ منا حقيقته الذاتية، ومع ذلك فهي دائماً حقيقة واحدة.

كنت أسعى دائماً لصالح كلِّ ما هو عامٌّ وشامل حتى رأيت ما يحقّقه الناس المميّزون في الخاص من الأمور.

يُحسُن أن تتقدّم في السن لتصبح أكثر لُطفًا؛ لا أرى أحداً يخطئ إلاّ
أعتقد أنني كنت سأرتكب الخطأ نفسه في ظروفه.

هناك أناسٌ أتمنى لهم الخير، وأودّ لو كنت أستطيع أن أتمنى لهم الأفضل.

كان حبّ الجماعة دوماً من طباعي؛ لذلك كنت أكتسب في كل عمل
أعمله زملاءً جيدين، وأجعل من نفسي أيضاً زميلاً جيداً، ونلت بذلك
سعادة أن تستمر حياتي بهم وتستمر حياتهم بي.

كان شأني مع العلوم كشخص ينهض باكراً ينتظر بشوق حمرة الفجر
ثم شروق الشمس ليعشى من نورها عند الضحى.

كلُّ منا يقدر خبرته في هذه الحياة، وعلى الأخص ذلك المسنّ المفكّر والمتأمّل،
الذي يشعر بكل ثقة وراحةٍ نفسٍ أن لا أحد قادراً على سلب هذا الشعور منه.

تتّكئ دراساتي في عالم الطبيعة على القاعدة المحضّة لما عايشته وخبرته؛
من يستطيع أن يسلب مني حقيقة أنني أبصرت الحياة سنة ١٧٤٩؟ وأني
(وقد تجاوزت مراحل كثيرة) تعلمت بصدق من الطبعة الأولى لكتاب
«الأسس الأولية لعلم الطبيعة» لصاحبه إركسليين^(١)؟ أما الطبعات العديدة
المتتالية لهذا الكتاب التي حدّثها ونشرها ليختبرغ^(٢) بعد ذلك، فقد نالت

(١) Johann Christian Paul Erxleben (١٧٤٤-١٧٧٧) عمل أستاذاً للفيزياء في جامعة
غوتينغن "Göttingen"، وكان كتابه "Anfangsgründe der Naturlehre"، الذي نُشر سنة
١٧٦٨ كتاباً تعليمياً رائداً.

(٢) الكاتب الهزلي والحكيم ومؤرخ الفن في عصر التنوير Georg Christoph Lichtenberg
(١٧٤٢-١٧٩٩)، كان منذ سنة ١٧٦٩ أستاذاً للفيزياء في جامعة غوتينغن، وقد كان
من أشهر العلماء في القرن الثامن عشر نظراً لإنجازاته الرائعة في مجال العلوم الطبيعية.
وقد جدّد الطبعات الثالثة حتى السادسة ضمناً من كتاب إركسليين حتى أصبح من
الأعمال الموسوعية في معارف العلوم الطبيعية في عصره.

اهتمامي غير المحدود، ولكن كنت أحصل على كل جديد ورد فيها من ملاحظاتي واكتشافاتي الخاصة ثم أقرؤها مطبوعة في الكتب، وهكذا كنت أتقدم خطوة فخطوة مع الاكتشافات الحديثة التي وردت في الكتب، حتى إنني كنت أرى الاكتشافات الطبيعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حتى هذا الوقت، تبرق أمام عيني كالنجوم واحدة بعد الأخرى. من يستطيع أن يسلبني تلك السعادة الداخلية حينما أكون من خلال ملاحظاتي المستمرة على مقربة من تلك الاكتشافات الكبيرة الرائعة^(١) التي تشغل العالم كله، كأن ظهورها نابع من داخلي وأنا أرى أمامي الخطوات القليلة التي كانت أمامي، والتي فاتتني جرأة السير بها في عملية بحث قائمة؟

حينما أضطر لسماع رأي شخص آخر يجب أن يكون هذا الرأي معروضا بشكل إيجابي، إذ لَدَيَّ ما يكفيني من المشكلات في داخلي.

أسكت عن كثير من الأمور، لكنني لا أحب تضليل الآخرين، كما أني أكون مرتاحاً عندما يكونون سعداء في حين أنا مغتمّ.

بما أن الإنسان لا يهتم إلا برأيه هو وبما يراه صحيحاً، تراه يبحث يُمنّةً ويُسرّةً عن وسائل تساعد على إثبات وجهة نظره عندما يعرضها على الآخرين. يستخدم المرء خلال ذلك الصحيح والواقعيّ كلما كان ذلك مفيداً لوجهة نظره، أما الأسلوب العاطفي البلاغي فيخدمه في اللحظة نفسها لما هو غير صحيح، فيبهر سامعيه بأنصاف الحجج كبديل جاهز لتجميع الحطام ولو بشكل ظاهري مُفتعل. كانت معرفة هذا الأمر تغضبني في البداية ثم أصبحت

(١) كان من تلك الاكتشافات والاختراعات؛ اختراع سارية البرق (١٧٥٢) والآلة البخارية (١٧٦٩) والمنطاد الهوائي (١٧٨٢)، كما جرى استخدام لقاح الجدري لأول مرّة سنة ١٧٩٦.

تكدّرني، أما الآن فقد أصبحت أشعر بنوع من الشماتة. لقد آليت على نفسي ألاّ أكشف الغطاء عن أساليب مشابهة بعد الآن.

من أجل أن أنقذ نفسي أراني أراقب كل الظواهر منفصلة عن بعضها، وأسعى لعزلها ولو قسرياً؛ ثم أراقبها بعد ذلك كأنها أمور مترابطة تتحد لتكوّن حياةً يقينية. وهذا ما أطبقه بشكل رئيسٍ على الطبيعة وظواهرها؛ ولكنني أرى أنّ هذا الأسلوب مثمرٌ أيضاً في أثناء مراقبة الأحداث المضطربة في تاريخنا المعاصر.

عندما أرتاح أخيراً أمام الظاهرة الأولى في الخلق فذلك لا ريب نوع من الاستسلام؛ ولكن يبقى هناك فرق كبير بين أن أستسلم أمام الحدود الإنسانية أو ضمن تلك المحدودية الافتراضية للفرد ذي الأفق الضيق.

في أثناء مراقبتي للطبيعة، في كبير الأمور منها وفي صغيرها، أ طرح السؤال التالي بلا توقّف: هل هي الطبيعة التي تعبر عن نفسها أو أنت الذي تعبر عنها؟ وبهذا المعنى أنظر أيضاً إلى من سبقني، وإلى من يعمل معي.

ما أعرفه حقاً أعرفه لنفسي، إذ إنّ الكلمة المنطوقة قليلاً ما تحفّز، وغالباً ما تثير المعارضة لدى الآخرين أو تدعو إلى التلثم والسكوت.

كيف لم يتحرك الألمان لمعارضة ما عملته وأعمله، ولم ينبسوا ببنت شفة حتى الآن؟ لو تركوا كل شيء على حاله وساروا في طريقهم لاستفادوا من مكتسباتي، وتقدموا أكثر مما هم عليه الآن.

أنا متفقٌ مع الناس كلّهم وخاصةً أولئك الذين أقدرهم، أما الآخرون فلا أقبل منهم شيئاً، وينتهي الأمر عند هذا الحدّ.

كَلَّ العام وأنا أسمع كل واحد يتكلم بخلاف ما أعتقد، لماذا لا أقول
أنا أيضاً بوضوح ما أعتقد وأراه؟

هناك أناسٌ يتأملون في نقائص أصدقائهم من دون أن يفيدهم ذلك في
شيء. أما أنا فأنتبه دائماً إلى فضائل أخصامي، وأكتسب من مزاياهم.

وجدتُ أن لا أكثر إزعاجاً من أن تكون في علاقة ممقوتة مع أحدهم
كنتَ تَرجو أن تكون علاقتك معه منطلقةً من إدراك مشترك.

أمقت كل ما هو يوميّ رتيب؛ لأنه مخالف للعقل والمنطق. ما نكتسبه
من يومنا بجهود معقولة هو الشيء الوحيد الذي يتراكم لصالحنا.

من كان يستطيع الصبر معي لو لم أكن أنا أيضاً صابراً!؟

لم أستخدم قطُّ في أبحاثي الهادئة مبدأ الاستقراء؛ لأنني أستشعر
خطره في الوقت المناسب.

حينما أفكر في موتي، لا أستطيع - ولا أحبّ - أن أفكر في ذلك
التنظيم الذي سيُدَمِّر.

في الأدب

يخضع الخاص دوماً للعام؛ وعلى العام أن يرتضي دوماً بالخاص.
لا أحد سيّد للمُنتج الخلاق، وعلى الجميع الرضوخ لذلك.
الإدراك الذهني أساس كل عملٍ فني، صغيراً كان أم كبيراً، حتى في أدق تفاصيله.

كم هو قليل ما كُتب عما حصل، وكم هو قليل ما وصلنا مما كُتب!
الأدب بطبيعة الحال مجزأٌ مُقطّع، ويضم نُصباً تذكاريّةً للعقل الإنساني طالما سُجّلت وحفظتها الأيام لنا.

بُنيت علاقتي مع شيلر على اتجاهنا الحاسم كلينا نحو هدفٍ واحد،
وبوسائل مختلفة، محاولين جهدنا لبلوغه. وقد كانت لي الملاحظة التالية
حول اختلاف دقيق جداً بين وجهتي نظرنا تحدثنا عنه ثم عاد ليذكرني به في
موضع من إحدى رسائله^(١) لي:

هناك فرق كبير بين أن يبحث الشاعر عن الخاص ليصل به إلى العام
أو أن يرى العام في الخاص. هنا تظهر استعارة مجازية، ففي الحالة الأولى
لا يكون الخاص إلا مثلاً أو أنموذجاً للعام؛ أما الحالة الثانية فتمثّل في

(١) كانت هذه الرسالة بتاريخ ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٨٠٢، وقد تحدّث غوته عن هذا الاختلاف في الرأي سنة ١٨٢٥ في كتابه «حول الفن والعصور القديمة»، كما كان قد نشر رسائل شيلر له في العام السابق، ومن بينها الرسالة المشار إليها.

الحقيقة طبيعة الشعر، تتمثل وتحدث عن الخاص من دون أن تفكر أو حتى أن تشير إلى العام. ومن يتناول هذا الخاص ويمنحه الحيوية يحصل على العام أيضاً، وربما من دون أن يتنبه إلى ذلك أو على الأقل يتنبه بعد حين.

الناس كلهم يرون الموضوع، أما المضمون فلا يجده إلا من أراد أن يضيف شيئاً إليه، ثم إن الشكل مختبئ عن الغالبية، ويبقى عنهم سراً مستوراً.

«يوجد فنانون لاقون: أدياء غير متخصصين، وانتهازيون؛ فالأدياء

يمارسون الفن للتسلية والآخرين للاستفادة».

إذا كان غير المعقول مصوراً أو معروضاً بذوق، فإنه لا ريب يثير النفور والإعجاب في الوقت نفسه.

يؤثر الشعر غالباً في بدايات الأوضاع والحالات الاجتماعية، إذ تكون غير ناضجة ولم تستقر بعد، أو حين تتغير ثقافة ما أو مفهوم ما، أو حين التعرف إلى ثقافة غريبة؛ إذ يستطيع المرء أن يقول: إن تأثير الجديد قد حصل حقاً.

قليلاً ما تحتاج الموسيقى إلى التجديد، لا بل كلما كانت أقدم كان تأثيرها أكبر بحكم الاعتياد عليها.

عند رؤية أي عمل فني من أي نوع كان، يسأل الناس عادة عن «ماذا» وليس عن «كيف»، فالأولى يمكن أن يفهمها الناس بالتفصيل، أما الثانية فلا يمكن فهمها كاملاً؛ لذلك يأتي إبراز بعض المواضع التي يتوضح فيها تأثير كلية العمل الفني إذا انتبه الشخص، لكنه يبقى في لاوعي الجميع مستتراً.

يبقى جواب السؤال: «من أين يأتي الشاعر بكل ذلك؟» محصوراً بالموضوع، أما كيف فلن يعرف عنه أحد شيئاً.

لا تُنظَّم المخيِّلة إلاَّ بالفن، وخاصة بالشعر. لا شيء أسوأ من مخيِّلة من دون ذوق.

الشيء المتكلِّف هو معنوي أخطأ هدفه، وأصبح معنوياً ذاتياً، وهو لذلك يفتقد إلى الخيال.

الشاعر يعتمد على الوصف. وأجمل ما في ذلك لما يتنافس الوصف مع الحقيقة، بمعنى أنه يقدم الوصف حياً ومعنوياً ليراه القارئ مجسداً ناطقاً وحاضراً أمامه. ويكون الشعر في قمته حين يكون ظاهراً بيئاً للجميع، إلا أنه ينخفض كلما غاص في دواخله. ذلك الشعر الذي يصف دواخل المرء دون أن يغلفها بظاهر يجسدها أو يدعك تستشعر الدواخل من خلاله بلا تجسيدٍ ظاهر، هو المرحلة الأخيرة التي يدخل منها إلى مسامع الناس.

تعتمد الخطابة على مزايا الشعر وعلى حقوقه كلها؛ تتمكن منها وتسيء استخدامها لتصل من خلالها إلى بعض المنافع الشعبية الوقتية، سواء كانت أخلاقية أم غير أخلاقية.

لا يحتاج المرء لأن يرى أو يعيش كل شيء؛ لكن إذا أردت أن تثق بالآخر وبأقواله وأفعاله فاعلم أنك ستكون، وستعامل حينذاك مع «ثلاثة»؛ مع الموضوع ومع ذاتين اثنتين.

ليس الكُتَّاب البارعون في وقتنا الحاضر جيِّدين لأنهم يأتون بالجديد بل فقط لأنهم قادرون على قول أمورٍ كأنها لم تُقل من قبل.

لذلك فإنَّ أفضل دليل على البراعة هو أن تتلقى الأفكار وتطورها بشكل مفيد حتى لا يدرك أحد بسهولة ما في هذه الأفكار من عمق.

ينبع كثير من الأفكار من الثقافة العامة كما تتفتق الأزهار من الأغصان
الخضراء. ففي مواسم الإزهار تتفتح الزهور في كل مكان.

يعتمد كل شيء في الحقيقة على النوايا، فأينما تكُن هذه تظهر الأفكار،
وحينها تذهب تذهب الأفكار معها.

ما أكثر ما يتكلم المرء عن الذوق: الذوق لطفٌ في التعبير يحفظ الأذن
ويُطمئن البال!

من يُردُّ في أيامنا هذه أن يكتبَ عن الفنون أو يجادل حولها فعليه أن
يعرف ولو قليلاً مما حققته الفلسفة، ومما هي مستمرة في تحقيقه.

ما يراه الجاهلون طبيعةً في العمل الفني ليس طبيعةً (من الخارج) بل
الإنسان هو (طبيعةً من الداخل).

لا نعرف من العوالم إلا عالم الإنسان، ولا نريد فناً إلا ما هو نابع من
هذا العالم.

من الصعب الاستفادة من النماذج، إلا من الطبيعة.

يجب أن تهضم الشكل كما تهضم الموضوع، لا بل إن هضم الشكل
أصعب بكثير.

دعونا نكُنْ واسعِي المعرفة؛ مذاق الجزر طيب، لكنه مع الكستناء
أطيب، وهاتان الثمرتان تنموان بعيداً عن بعضهما.

يكون المرء واسع المعرفة فقط إذا سعى إلى الأفضل والأعلى، لأن عليه
أن يسعى (بكل جدية)، ولما ينخفض إلى الأسوأ والأقل، إذا أراد، (فللعبث).

يحوّل المجازُ الظاهرةَ إلى مفهوم، والمفهومَ إلى صورة، بحيث تبقى الفكرة في الصورة مؤثرة بلا حدود وبعيدة المنال، وبحيث يمكن نطقها بكل اللغات وتبقى عصيةً على التعبير.

تحوّل الرمزيةُ الظاهرةَ إلى فكرة، والفكرةَ إلى صورة، بحيث تبقى الفكرة في الصورة مؤثرة بلا حدود وبعيدة المنال، وبحيث يمكن نطقها بكل اللغات وتبقى عصيةً على التعبير.

كم من كتابٍ كُتِبَ لا لتتعلم منه أي شيء وإنما لتعرفَ أنّ المؤلف يعرف شيئاً ما!

كم هو مخزنٌ أن ترى إنساناً استثنائياً وقد ضاق عليه الخناق مع نفسه وفي حياته وزمانه، من دون أن يصل إلى غصنٍ أخضر يتمسك به. مثالٌ مُحزن: بورغر^(١). أكبر احترام يؤديه المؤلف إلى جمهور قرائه هو ألا يأتي مطلقاً بما يتوقعونه، وإنما بما يعتقدُه صحيحاً ومفيداً في كل مرحلة من مراحل ثقافته الذاتية والخارجية.

ليس من يُسمّون شعراء الطبيعة إلا عبقریات حديثة وجدت نفسها في جوّ من التحديات، بقيت لنا من عصور فنية أخلاقية تعثرت. لا يستطيعون تجنّب اللهجات المحلية، لذلك يمكن تسميتهم رجعيين، ولكنهم في حقيقة الأمر مجدّدون ويسعون إلى المزيد من التقدّم.

هناك اليوم نتاجات ممكنة تساوي الصفر، من دون أن تكون سيئة. صفرٌ لأنها لا تحتوي أي مضمون، وليست سيئة لأنها شكل عام لأنموذج جيد يترأى للمؤلفين.

(١) Gottfried August Bürger (١٧٤٧-١٧٩٤) كان من مشاهير الشعراء العاطفيين.

يجب أن يكون كل عمل أدبي منطقياً بشكل عام وقليل المنطقية في بعض التفاصيل.

الرواية ملحمة ذاتية يطلب المؤلف فيها لنفسه السماح بالتعامل مع العالم من حوله على طريقته الخاصة. ولكن يبقى السؤال؟ هل عنده حقاً طريقته الخاصة؟ وما تبقى ليس بالعسير.

يجب أن تتلاقى المذكرات سواءً كانت من الأعلى إلى الأسفل أم من الأسفل إلى الأعلى.

يجب أن نتحمل بكل الرضا إلحاح بل صفاقة بعض الأدعياء الحديثين: سيكونون في قادم أيامهم عشاق الفن والمعجبين بعظمته.

على الرغم من عدم كمال عالم الآداب، نرى آلاف التعبيرات والأفكار تتكرر، وليس أدل على ذلك من محدودية عقل الإنسان ومصيره.

لا يجوز أن نطرح السؤال عمّن هو الأفضل؛ المؤرخ أم الشاعر؛ فهما لا يتنافسان إلا كما يتنافس الملاك مع العدا، فكلُّ يستحقّ تاجه.

شأننا مع الكتب كشأننا مع معارفنا الجدد. نُسرّ في البداية كثيراً عندما نرى توافقاً جميلاً عاماً ونشعر بلمسة من الدفء في أحد جوانب وجودنا؛ ولكن ما إن تزداد المعرفة حتى تظهر أولى الخلافات، ويأتي هنا دور السلوك العاقل، إذ لا يليق بنا أن نتصرف كالأطفال ونشعر بالخوف، بل علينا أن نبحث عن نقاط التوافق ونثبتها، ونسعى إلى شرح نقاط الاختلاف وتوضيحها من دون أن نسعى إلى توحيد الأفكار.

لا تخلو أروع مسرحيات شكسبير من بعض النقائص في براعتها هنا أو هناك، وهي أكثر مما يُفترض أن تكون؛ وبذلك تكون الإشارة إلى الشاعر الكبير.

الأدب هو بقية من بقايا: لم يُكتب إلا قليل مما قيل أو مما حدث، كما لم يبق من المكتوب إلا القليل.

تتجلى القيمة الحقيقية لما ندعوه الأغاني الشعبية في أن موضوعاتها مأخوذة من الطبيعة. ولو فهم ذلك الشاعر المثقف لاستطاع أن يستفيد من هذه المزية أيضاً.

يتميز النَّاسُ العاديون بأنهم يفهمون الاقتضاب أكثر من المثقفين. قراءة شكسبير خطرة على المواهب الناشئة؛ يجبرهم على إعادة إنتاج كتاباته في حين هم يتصورون أن إنتاجهم ذاتي.

لا يمكن للمرء، ولا يجوز له، أن يفشي أسرار دروبه في الحياة؛ فهناك أحجار عثرة، لا بد لكل سائر أن يتعثّر بها، إلا أن الشاعر يشير إلى ذلك الموضع.

الموهبة الشعرية موجودة لدى الفلاح كما لدى الفارس، ولكنَّ الفارق في أن كلاً منهما يتناول أوضاعه ويتعامل معها بعزّة وكرامة.

كان ستيرن^(١) يملك أجمل روح في أعماله ومن يقرأه يشعر حالاً بأنه حرّ وجميل؛ لا يمكن تقليد دُعابته، وما كلُّ دعاية تحرر النفس.

يمكننا أن نستخدم كتابات ليختنبرغ كأروع محسّ للبحث عن الحقيقة؛ فهناك مشكلة تقبع في كل مكان يضع فيه الفكاهة.

قد يدفع نجاح الأدب الحديث إلى إدخال الأدب الرائع الماضي في ظلمة النسيان، وسيطر العمل الجديد على ساحة الأدب؛ لذلك فمن الخير

(١) كان للروائي الإنكليزي Lawrence Sterne (١٧١٣-١٧٦٨) تأثير كبير في ألمانيا القرن الثامن عشر، وكانت من أشهر رواياته روايته تحت عنوان "Yoricks empfindsame Reise"، التي صدرت سنة ١٧٦٨.

والإنصاف العودة إلى الماضي بين حينٍ وآخر. يجب أن نُبقي في أنفسنا على ما هو أصيل ونفخر به، إذا أردنا ألا نفقد آباءنا الأوائل من ذاكرتنا.

الآن، وبما أن أدباً عالمياً قد بدأ بالنشوء، أرى أن الألمانى بالذات قد يكون الخاسر أكثر من غيره، وسيكون لصالحه أن يأخذ بهذا التحذير.

خصوصية التعبير هي أول الفنون وآخرها. إلا أن لكل أمة خصوصيتها المختلفة عن الخصوصية الإنسانية العامة التي قد تجعلنا نفر منها في البداية، لكنّها أخيراً قد تطغى على طبيعتنا الخاصة المميّزة وقد تطمسها.

من لا يستطيع تحسين عمله فليعمل عملاً غيره، فالمستمع والقارئ يمثلان ذلك في لامبالاة تقليدية.

يجب الجمهور أن يُعامل كالمرأة في دارها التي لا تحب أن يُقال لها إلا ما تحب سماعه.

يفضل الجمهور الشكوى بلا انقطاع من سوء الخدمات المقدمة له على أن يُجهد نفسه بالعمل على تحسين هذه الخدمات.

النقد مثل *Ate*^(١) يلاحق المؤلفين خطوة بخطوة؛ إلا أنه يعرج.

الصحيح والجيد والرائع هو دوماً بسيط ولا تتغير حقيقته ولو تغيرت مظهره. ولكنّ الخطأ الذي يستدعي الملامة متعدد الأشكال والأنواع، ولا يعمل ضد ما هو جيد وصحيح فحسب بل هو يناقض نفسه أيضاً ويحاربها. لذلك يجب أن تكون عبارات الملامة في كل عمل أدبي أكثر من كلمات المديح.

(١) *Ate* إلهة الإغواء في الميثولوجيا الإغريقية، ويُقال: إنها كانت عرجاء لأن أباه زيوس قذف بها من جبل الأوليمب إلى الأرض.

لا يفسدُ الأدبُ إلا بفساد الإنسان

التقليدي هو الصحيح والرومانسي هو العليل.

بقي أوفيد^(١) تقليدياً في منفاه؛ لم يبحث عن تعاسته في نفسه بل بحث عنها في بعده عن عاصمة العالم.

وصل الإنتاج الأدبي الرومانسي إلى القاع، أما الأبعث فهو أننا لا نستطيع أن نتصور النتاج الأدبي الحديث في مستوى أدنى مما هو عليه.

تجاوزنا الإنكليزيون والفرنسيون. أجسادُ تنتن وهي حيّة، وتبتهج برؤية تفسخها خطوة فخطوة، أموات تبقى حيّة لتبيد آخرين، وتغذي موتها بما هو حي؛ إلى هنا وصل أدباؤنا!

تجد هذه المظاهر في الأدب القديم كبعض الحالات المرضية، لكنها في الأدب الحديث تتفشى أوبئة وأمراضاً مستوطنة.

«ساكونتالا»: هنا يظهر الشاعر في أعلى مراتبه. وهو كممثلٍ لأكثر الأحوال قرباً من الطبيعة، لأسلوب الحياة الهانئ، للاجتهاد والطموح الأخلاقي النبيل، للجلال والعزة الكريمين، وفي مخافة الله وتقواه الصادقة؛ يتجرأ ويتكلم في تناقضات مضحكة ووضيعة.

قال أحدهم: «لماذا تتعبون أنفسكم مع هوميروس؟ إنكم لن تفهموه». وأنا أجيب: أنا لا أفهم الشمس والقمر والنجوم أيضاً، ولكنني أعرف نفسي من خلالها، فأنا أراها وأراقب دورانها الرائع المنتظم، وأفكر فيما إذا كنت سأصبح يوماً ما شخصاً مرموقاً.

(١) الشاعر الروماني Publius Ovidius Naso (٤٣ ق.م. - ١٨ م.) نفاه القيصر أغسطس خارج روما مدى الحياة.

فضلاً عن الظروف السعيدة التي جعلت من شكسبير موهبة كبيرة تطورت بصفاء وحرية، فإنه كان يعتقد المذهب البروتستانتي، ولولا ذلك كان عليه أن يمجّد ما يخالف العقل والمنطق كما فعل كاليداسا^(١) وكالديرون^(٢).

حشد كلوبشتوك (Klopstock)^(٣) الجنة والنار، والشمس والقمر والنجوم، والزمن والأبدية، والله والشيطان؛ حتى يستعجل حضور أسوأ المقامات العامة في الإنسانية.

«أويلنشيغل»^(٤) تعتمد الدعابات الأساسية في الكتاب على أن الناس كلّهم يتكلّمون برمزية، إلا أويلنشيغل نفسه الذي يأخذ الأمور بشكل شخصي.

القصص الخرافية: تصوّر لنا الحوادث والوقائع المستحيلة، ممكنة في ظروف مستحيلة أو ممكنة.

الرواية: تصوّر لنا الحوادث والوقائع الممكنة، حقيقية في ظروف مستحيلة أو شبه مستحيلة.

(١) Kalidasa شاعر هندي عاش في القرن الخامس الميلادي، وكان غوته معجباً بكتاباتة وخاصة تلك الدراما التي كتبها تحت عنوان Sakuntala والتي ترجمها Georg Forster إلى الألمانية سنة ١٧٩١ عن الطبعة الإنكليزية.

(٢) Pedro Calderon de la Barca (١٦٠٠-١٦٨١)، كاتب درامي إسباني. وهنا استمد غوته، في هذه الحكمة، معلوماته من أشعار كاليداسا وأعمال كالديرون.

(٣) ينسحب الكلام هنا على ملحمة Klopstock (١٧٤٨-١٧٧٤)، "Messias"، فقد وصف الشاعر في عشرين قصيدة غنائية ثمانية الأيام الأخيرة من حياة يسوع على الأرض، إضافةً إلى وصفه للجنة والنار.

(٤) Eulenspiegel شخصية هزلية ألمانية، كُتبت العديد من الدعابات حولها.

يتقمص بطل الرواية كلّ الأدوار؛ أما الممثل المسرحي فعليه ألا يرى شيئاً مشابهاً في كل ما يحيط به.

تُعطي تلك الأجزاء من موجز أرسطو حول فنون الشعر رؤية رائعة. إذا أراد أحدٌ أن يتفهم المسرح حاضراً ويحفظه غيباً كواحد منّا، وقد قضى وقتاً طويلاً من حياته في ذلك، وعمل كثيراً في هذا المجال، يرى المرء عند ذلك أنّ عليه أن يتعرّف قبل كل شيء إلى طريقة التفكير الفلسفية لهذا الشخص حتى يفهم نظرتة إلى هذه الظاهرة الفنية؛ إلى ذلك فإنّ دراستنا ترتبك فقط بسبب السؤال عن كيفية استخدام الشعرية الحديثة لعلم المسرح استخداماً بالغاً من أجل الضرر بهذه الشعرية^(١).

ليست مهمة الشاعر التراجيدي وعمله إلا ظاهرة نفسية أخلاقية، يصوّر فيها تجربة معقولة يثبت حصولها في الماضي.

ليس ما نسميه محفّزات أو دوافع في الحقيقة إلا ظواهر للعقل الإنساني تكررت في الماضي، وستكرر حاضراً ومستقبلاً، ويجاوب الشاعر إثباتها تاريخياً فقط.

لا بد من العبقرية لكتابة نص درامي. ففي النهاية يجب أن تكون المشاعر في الحكمة، وفي البداية يكون العقل مسيطراً، على أن يُعرض كل شيء متماثلاً من خلال مخيلة حيوية واضحة.

فرقٌ كبير بين أن أقرأ للاستمتاع والنشاط أو أن أقرأ للمعرفة والتعلم.

(١) ينص مبدأ الوحدات الثلاث الذي ذكره أرسطو في كتابه «الشعر» - وفق التأويل الفرنسي الكلاسيكي - والذي اعترض عليه ليسينغ في كتابه «Hamburgische Dramaturgie» على أنّ ضمان وحدة الموضوع لا يتم إلا إذا كان الحدث في الدراما مقصوراً على مكان واحد وفي يوم واحد.

هناك كتُبٌ تجد فيها كلَّ شيء، ولكنك في النهاية لا تعقل شيئاً من الموضوع.

إذا كان للمعجم أن يرافق المؤلف، فلا حاجة به للتأليف.

من يرمي المؤلفَ بتهمة عدم الوضوح عليه أولاً أن يُنعمَ النظر في دواخل نفسه ويتبين مدى الوضوح فيها. مهما كانت الكتابة واضحة فلن تستطيع قراءتها عند الغسق.

إذا أردت أن تشاجر فلا تتهم الآخر بما لست منه بريئاً.

{من كان بيته من زجاج عليه ألا يرشق الناس بالحجارة}

من يحاول انتقاد بعض الأفكار عليه أن يكون قادراً على إصلاحها وإيضاحها، ويدافع عن ذلك من خلال هذا الإيضاح، حتى لا ينجر إلى الصراع مع صور خيالية أنشأها بنفسه.

ليس عدم وضوح بعض الأفكار إلا أمراً نسبياً... ليس بالإمكان دوماً شرح كل شيء للمستمع كما ينير حقاً في إدراك المفكر.

ليس الفنان الذي يُقدّم أعمالاً رائعة دائماً على تقويم أعماله أو أعمال الآخرين.

قاعدة ارتكاز الفن المسرحي، كأبي فن آخر، هي كل ما هو صحيح وواقع ومتوافق مع الطبيعة. وكلما كانت هذه القاعدة أرفع وأسمى وأهم، استطاع الشعراء والممثلون المسرحيون وضع هذه المرتكزات في أعلى موقع، ومن ثم فإن المسرح سيتمتع بسمعة أفضل وأوسع. وهنا لا بد من القول: إن ألمانيا بلغت في هذا المجال شأواً رفيعاً، فالقاء الشعر المميز أصبح عاماً وزاد انتشاره خارج المسارح أيضاً.

تعتمد الألحان وأنغام الإلقاء وتعبير الوجه كلها على جودة الإنشاد والقراءة. فهذه هي الأمور التي تجب مراعاتها والتدرّب عليها، ومن الواضح أنّ القراءات والإنشاد هي التي يجب أن تبقى مدرسةً لكل ما هو حقيقي وطبيعي، إذا كان الرجال الذين يتولّون هذا الموضوع مفعمين بقيم مهتهم وكرامتها.

ليس مسرحياً ما لا تراه العيون رمزياً.

ليست الانتقادات المسرحية العادية إلا سجلاً من الآثام الظالمة يضعها حسودٌ ويرميها في وجه أولئك الأشقياء المساكين من دون أن يمدّ لهم يد العون إلى طريق أفضل.

من لا يتقن لغات أجنبية لا يفقه من لغته الأم شيئاً.

{ كل لسانٍ بإنسان }

هناك من يعتقد أنّ بإمكانه التكلّم عن اللغة لأنه يتكلّمها فحسب.

يُنظر إلى المترجمين على أنهم قوادون نشطون يعرضون علينا إحدى الجميلات في نصف حجاب، ويمدحونها بأحلى الصفات، ويشيرون شوقاً جامعاً إلى الأصل.

ليست اللغة بحدّ ذاتها هي الصحيحة والبارعة والرشيقة وإنما هي تلك الروح التي تتقمصها، لذلك فليس المهم أن يستطيع كل واحد أن يعطي حساباته وخطاباته وأشعاره الصفات التي يريدها؛ وإنما السؤال هو فيما إذا كانت الطبيعة قد منحت الصفات الأخلاقية والعقلية المناسبة. تتجلّى الصفات العقلية في القدرة على رؤية أسرار اللغة وفهمها، والأخلاقية في رفضه للعفاريّة والوساوس السيئة التي يمكن أن تعيقه عن تقديم الاحترام للصحيح والبارع.

لدينا الطموح والسعي الدائب المتجدد كل يوم بعزيمة وجدّ وثبات لأن نضع الكلمة التي تجمع كلّ ما نشعر به ونراه ونفكر فيه ونختبره ونتصوره ونعدّه في نطاق العقل والحكمة والإدراك الصحيح، لتكون مناسبة وجامعة قدر الإمكان.

فليختبر كلّ منّا نفسه فسيجد ذلك أصعب مما قد يتصوّر، لأن الإنسان، مع الأسف، يرى الكلمات عادةً مجرد بديلٍ؛ فهو يفكّر ويفهم غالباً أكثر مما يستطيع التعبير عنه.

ليست عراقلة اللغة برفضها للغريب وإنما بتمثلها له.

سُحقاً لكل تزمّت سلبي. لماذا لا تستخدم كلمة من لغة أخرى ربما تكون أكثر نعومة وسلاسة وأقوى تعبيراً؟

لا كلمة تبقى ثابتة في معناها بل تنتقل خلال استخدامها إلى غير مكانها الأول، إذ قد ترتفع، وغالباً ما تنخفض، إلى السيئ أكثر من الأفضل، إلى المعنى الأضيق أكثر من الأشمل، كذلك يتضح تبدل المفاهيم من خلال تبدل معاني الكلمات وتحوُّلها.

يجب أن نقرب في أثناء الترجمة مما لا يقبل الترجمة؛ حينذاك يتفهم المرء الأمة الغريبة واللغة الأجنبية.

في الفن

الفن عمل جادّ، وأفضل ما يكون عندما يتناول موضوعات نبيلة ومقدسة؛ والفنان يقف بالطبع في موقف أعلى من فنّه وموضوعاته: أعلى من فنّه لأنه يتخذه وسيلةً لأهدافه، وأعلى من موضوعاته لأنه يتعامل معها كما يحلو له.

يعتمد الفن التشكيلي على ما هو مرئي، ومن ثمّ على المظهر الخارجي لكل ما هو طبيعي. نسمي الطبيعي الصرف ساذجاً طالما كان معنوياً وجميلاً. وهكذا فإنّ الموضوعات الساذجة هي التي تشكل مجالاً لممارسة الفنون التي يجب أن تكون تعبيراً معنوياً عمّا هو طبيعي. لذلك فإنّ الموضوعات التي تشير إلى الجانبين هي الأنسب والأصلح.

يتشابه الساذج الطبيعي مع الواقعي. أما الواقعي بلا سحنة معنوية فهو خسيسٌ ودنيءٌ.

الفن بحد ذاته أمرٌ نبيل؛ لذلك لا يخشى الفنان من بعض الهبوط، لأنه يضيفي اللطف على الأمر الدنيء بمجرد استخدامه، وهكذا نرى كبار الفنانين يمارسون جلالهم وعظمتهم بكل جسارة وجرأة.

في كل فنّان نواة من حب المجازفة التي لولاها لا يكون للعبقريّة مكان، هذه العبقريّة التي تتفجر بنشاط وخيال خصب حينما يحب المرء أن يقيّد الموهوب، ويجعل منه أداة لتحقيق أهداف محدودة.

روح الدعاة أحد أهم عناصر العبقرية، ولكن حالما تسيطر هذه الروح وتصبح بديلاً عن العبقرية، ترافق الفن الهابط وتدمره وتفنيه في النهاية.

توضح هذا الأمر دراسة نحضرها بأسلوب لطيف؛ فكل الفنانين الذين نعرفهم من بعض جوانبهم، يسعون من الناحية الأخلاقية فقط، ومن خلال موضوعات أعمالهم وأسلوب تعاملهم معها، إلى تطوير ما يخص الزمان والمكان والأمة وكبار رجالات الفن، وما يختص بتلك الفردية الذاتية المتينة، وتكوينها كما أصبحوا وإبقائها كما كانوا^(١).

تأتي رغبة الألمان بالغامض في الفنون من إهمالهم، إذ إن من يعمل بإهمال، ومن دون تركيز، لا يعترف بالصحيح الجميل وإلا فقد كل شيء.

يتعلق الأمر في الفن والعلوم كما في العمل والسلوك، بفهم الموضوعات بوضوح، والتعامل معها بما يتلاءم وطبيعتها.

حصلَ معي ويحصل أن عملاً من الفن التشكيلي قد لا يعجبني أول وهلة، لأنني ربما لست من مستواه، ولكني إذا رجوت فائدة منه عدت إليه وعالجته من جديد لأفاجأ باكتشافات سارة: أكتشف في هذه الأعمال صفات جديدة، وأتبيّن قدراتٍ جديدةً لديّ.

ما ندعوه رومانسية منطقة ما، ليس إلا شعوراً دفيناً بما هو رائع من أشكال الماضي، أو بعبارة أخرى، ما هو إلا شعوراً بالعزلة والغياب والاعتكاف.

ما الجميل إلا برهان على قوانين الطبيعة الخفية التي لولا مظاهرها لبقيت مستورة عنا إلى الأبد.

(١) لم يكن غوته من كتّب هذه الفقرة وإنما أضيفت لاحقاً.

الصورة والكلمة أمران متلازمان يبحث أحدهما عن الآخر دائماً كما ندرك الرموز والأمثال. فمن بدء الخليقة تقابل العين ما يمكن أن يدخل الأذن من كلام أو غناء. وكذلك نرى في طفولتنا الكلمة والصورة في توازن دائم، سواء أكان ذلك في الدستور أم في الشرع المقدس، في الإنجيل أم في كتاب للمبتدئين. كان الأمر صحيحاً عندما كان المرء يعبر ولا يستطيع أن يَصوّر أو يَصوّر ولا يستطيع أن يعبر، ولكن المرء غالباً ما أخطأ الاختيار ونطق بدل أن يَصوّر، لينشأ من ذلك كله ذلك الغول المزدوج شرّه برمزيته وغموضه.

يقول المرء: «ادرس، الفنان، الطبيعة!» ولكن ليس بالأمر الهين أن تنتقل من المنحط إلى النبيل، ولا ممّا لا شكل له إلى الشكل الجميل.

من تبدأ الطبيعة بكشف أسرارها له يشعر، بلا ريب، بشوق لا يقاوم إلى ذلك الذي يَصوّر الأسرار الرائعة؛ ألا وهو الفن بأصنافه وأنواعه.

إذا عاملت الانتهازية بجد، ومارست العلوم بشكل آلي، فلا تعجب أن تُتهم بالخذلقة.

الفنان وحده من يستطيع تنمية الفن وتحفيزه؛ الممولون يحفزون الفنان، لا بأس في ذلك، ولكن هل يتقدم الفن دائماً نتيجة ذلك؟ لا يمكن للجمال أن يكون واضحاً لذاته.

الطباع قد تصنع من الضعف عُرفاً. يقول العارفون: «لا يمكن تجاوز الذكاء الذي يختبئ الخوف خلفه». كثيراً ما تظهر لدى الناس الضعفاء آراء ثورية: يرون أنهم مرتاحون إذا لم يتحكم بهم غيرهم، ولا يشعرون أنهم غير قادرين على حكم أنفسهم، ناهيك عن حكم الآخرين.

يقع بعض الفنانين الألمان الحديثين في هذا المطب؛ فهم يعدّون الفن الذي لا يجيدونه ضاراً يجب أن يُرمى ويُحذف.

نعطي فنونَ كلِّ الشعوب وندفعها إلى الأمام، إلا الفنون الإغريقية فإننا مدينون لها إلى الأبد.

لما يفعل الانتهازي كل ما يستطيعه، يلجأ إلى الاعتذار بالقول: إنَّ العمل لم يتمَّ بعد. حقاً لا يمكن أن يتمَّ أبداً لأنه لم يبدأ بداية صحيحة. والفنان ينجز عمله بخطوط بسيطة، وسواء أتمّه أم لم يتمّه فهو قد اكتمل. ويتلّس الانتهازي الذكي طريقه في المجهول، وكلما تقدم في العمل ازداد ظهور ارتبائه، حتى إذا وصل إلى النهاية ظهر الخطأ الذي لم يعد ممكناً إصلاحه، ولا عجب أن يُعدَّ العمل الفني حينذاك غير كامل.

ليس للفن الحقيقي مدرسة تحضيرية بل هناك تحضيرات أفضلها مشاركة أبسط تلميذ في أعمال الفنان الكبير. كم من مازج للألوان أصبح رسّاماً مشهوراً.

نحن مقتنعون، لا ريب، بضرورة إجراء الفنان التشكيلي دراسات على الطبيعة ومقتنعون بقيمة هذه الدراسات، إلا أننا لا ننكر انزعاجنا الشديد نتيجة سوء استخدام هذا المسعى الجميل غالباً.

قناعتنا ألاَّ يجري الفنان الشاب دراسات على الطبيعة، أو قليلاً منها فقط، إذا لم يكن يفكر في الوقت نفسه كيف يدور الأوراق الخضراء، وكيف يحول التفاصيل إلى صورة متناسقة يحوطها بإطار، ويقدمها للمحبِّ والخير بكل محبة. أشياء كثيرة جميلة تراها معزولة في هذا العالم، إلا أن العقل يكتشف الروابط بينها ويبرزها في أعمال فنية رائعة. تلقى الزهرة جاذبيتها من خلال

الحشرة التي تتعلق بها، ومن قطرات الندى التي تبللها، وفي الإناء الذي تتلقى فيه آخر غذائها. لا أحراج ولا أشجار إلا يمكن إعطاؤها جاذبية وسحراً في جوار صخر أو نبعٍ تتدفق منه المياه، أو بالقرب من أي جمال طبيعي آخر. وكذا الحال مع الأشخاص والحيوانات من أي طبيعة كانت.

كثيرة ومتنوعة تلك المزايا التي يمكن للفنان الشاب أن يكتسبها خلال ذلك. يتعلم كيف يفكر وكيف يستجمع المشابه والمتقارب، وحين يقدّم عمله الفني، من أي نوع كان، بأسلوب طريف محبب، فسوف يكون قد أسهم في ابتكار الجميل، وفي تطوير المتنوع من المفردات والجزئيات.

الإنسان مولود والفطنة من فطرته، إلا أنها تحتاج إلى التربية والصقل، وهذا ما قد يكتسبه من الوالدين أو المرّيين، أو من أمثلة لطيفة يعايشها أو من تجارب مريرة يعانيتها. كذلك يولد الفنّان الصاعد لا الفنّان الكامل: يأتي بعينين منفتحتين إلى هذا العالم، وبنظرة سعيدة للأشكال والتناسبات والحركات؛ إلا أنّ الفطرة الطبيعية قد تعوزه إلى الإبداع الرفيع وإلى تقويم مفاهيمه عن الأوضاع والأضواء والألوان من دون أن يشعر بذلك.

وإذا كان هذا الفنان الصاعد غير ميّال إلى تعلّم ما ينقصه بالاستفادة من الفنانين الكبار السابقين والمعاصرين حتى يصبح فناً حقيقياً، فإنه سيبقى متخلفاً ويعتقد مخطئاً أنه بذلك يحافظ على نوع من الأصالة الفنيّة، إذ ليس ما وُلد معنا بالفطرة فقط هو الذي يمثّلنا، بل أيضاً ما يمكن أن نتعلّمه في حياتنا، بل هو ما نكوّنُه.

علاقات الفنون والعلوم بالحياة مبنية على أسس مرحلية ومختلفة؛ حسب الظروف الزمنية المتتالية، بالإضافة إلى الآلاف من المصادفات الأخرى المتنوعة، ولذلك ليس بالأمر الهين فهمّ هذه العلاقات بشكل صحيح وكامل.

لا يستطيع المرء أن يُنكر أن العالم الألماني مزدانٌ بالعديد من العقول النيرة والممتازة والبارعة، ولكنه لم يُعد متوحداً ومترابطاً في مجال الفن والعلوم، ويزداد هذا العالم ضياعاً وتشوشاً على كل الطرق التاريخية، النظرية منها والعملية.

لو لم ينظر المرء إلى الفن والعلوم ويحترمها كأمر كامل حيوي أبدي، يخلط مع مرور الزمن المزايا والنقائص مع بعضها، لكان سيضيع ويتكدر حينها يدرك أن هذه الثروة يمكن أن تضعه في موقف حرج كهذا.

حول وجوب المقارنة أو عدمها عند مشاهدة الأعمال الفنية والتمعن بها، نجيب كما يلي: الخبير المثقف يقارن، لأنّ الفكرة تتماثل أمام عينيه، وقد فهم المضمون والهدف، ويمكنه - لا بل عليه - أن يعرف ما قد تم وما كان يمكن أن يتم؛ أما الهاوي الذي يريد أن يثقف نفسه في هذا المجال فعليه، إذا أحب أن يزداد علماً وخبرة، ألا يقارن بل يدرس كل عمل بذاته، فبذلك يتكوّن في نفسه تدريجياً الشعور والإحساس بما هو عام وشامل.

أما إذا أراد أحدهم أن يحتقر الفن لأنه تقليد للطبيعة فنقول له: إنّ الطبيعة تقلّد نفسها، وإن الفن ليس تقليداً صرفاً لما تراه العين، وإنما تحيلك اللوحة الفنية إلى ذلك العقل والإدراك الذي يكوّن الطبيعة وتتصرف وفقه.

لا يوجد فنٌّ وطني، ولا علمٌ وطني، فكلاهما يخصّان العالم كلّ، كما أي شيء آخر جيدٌ على هذه البسيطة. ولا يمكن تطويرهما إلا بالتأثير الحرّ المتبادل بين كل الأحياء في هذا العالم الحاضر مع وجوب مراعاة ما تركه لنا الماضي لنستفيد منه ونعمل على تطويره.

لا تفارق الفكرة الطبيعة إلا إذا خرب الفن والحياة.

حينما يتكلم الفنانون عن الطبيعة، فهُمْ يصوغون الفكرة بشكل ذكي
من دون أن يَعُوا ذلك.

كذلك يحدث مع أولئك الذين لا يعترفون بغير الخبرة، وينسون أن
الخبرة ليست سوى نصف الخبرة.

رُبَّ دارسٍ للماضي لم يستطع أن يتمثله؛ هل يستحق اللوم على ذلك؟
المتطلبات السامية في حقيقتها موضوع للتقدير ولو لم تتحقق، أما
الدينئة فلا تقدير لها ولو تحققت.

الجافّ-البيسط، والثابت-المهترّ، والخائف-الشرعي، وما يمكن أن
يصف به المرء الفن الألماني القديم من صفات أخرى، يعود إلى تلك الأساليب
السابقة البسيطة. ليس الفنانون الألمان فحسب، بل رسامو البندقية وفلورنسا
وآخرون كانت لديهم هذه المواصفات عينها.

ومع ذلك، علينا نحن الألمانين، أن نعدّ أنفسنا أصيلي الموهبة في حال
لم نتقدم، ونسمو عن بداياتنا!

ألأنّ ألبرخت دورر *Albrecht Dürer* بموهبته التي لا مثيل لها، لم
يستطع أن يرتفع إلى فكرة التناسق في الجمال، ولم تخطر له الفكرة الصائبة
المناسبة على بال، يجب علينا أن نبقى ملتصقين بالأرض دوماً؟!!

تميّز ألبرخت دورر بنظرة واقعية جدّ عميقة، وبإحساس إنساني رائع
ورقيق بالأوضاع الحالية المحيطة به، إلا أنّ ما أضرّه هو ذلك الخيال
السوداويّ الذي لا قرار له ولا شكل.

ما الذي يجب على الرسام أن يدرسه حتى يستطيع أن يرى الدَّرَاقَةَ كما يراها «هويسوم»^(١)، وعلينا نحن أن نحاول أن نعرف ما إذا كان ممكناً أن ننظر إلى الإنسان كما رآه الإغريقي؟

يكفي أن يتفق هواة الفن على الإعجاب بالكامِل من الفنون وتقديرها، أما المتوسط فلا نهاية للجدل حوله.

ما كان ذا مغزى ورائعاً، وكان وحيداً في عمل فني، لا يُعترف به، وما كان مجدياً ومفيداً وصالحاً فسوف يوضع جانباً؛ لا أحد يستطيع أن يفهم بسهولة تركيباً عميقاً وشاملاً.

كل عمل فني، سواءً أكان جيداً أم سيئاً، يعود إلى الطبيعة بمجرد اكتماله. والآثار القديمة تنتمي إلى الطبيعة، وعندما تخاطبك فهي من الطبيعة الطبيعية، فليس علينا أن ندرس هذه الطبيعة النبيلة وإنما تلك الطبيعة العادية.

إذ إنَّ الطبيعة العادية في الحقيقة هي تلك التي يفهمها أولئك السادة تحت اسم الطبيعة! أن تنهل من نفسك قد يعني أن تُنهي ما هو مريحٌ لك!
الفن: طبيعة أخرى، ملأى بالأسرار، ولكنها مفهومة واضحة لأنها تنبع من الفكر.

تعمل الطبيعة وفق قوانين سنّها لها الخالق الأعظم وقبلتها، أما الفن فيتم وفق قواعد اتفق عليها مع العبقرية.

(١) "Jan van Huysum" (١٦٨٢ - ١٧٤٩) رسّام هولندي كانت أعماله مرغوبة جداً في القرن الثامن عشر، وكان مشهوراً برسوماته للثمار والزهور بما يكاد يلامس الطبيعة.

يستقر الفن على نوع من المشاعر الدينية، على جدية عميقة ثابتة؛ ولهذا يتوافق غالباً برغبة مع الدين. أما الدين فلا يحتاج إلى مشاعر فنية، إذ هو يستقر على جديته الذاتية؛ فلا يمنحها ولا يعطي إلا قليلاً من الاستساعة.

الواقعية جميلة أيضاً، وفي ذروة المنفعة «الصلاح».

يتحقق الكمال بتحقق ما هو ضروري، ويتحقق الجمال بتحقق الضروري، إلا أنه يبقى مستتراً.

قد يتحقق الكمال مع التنافر، ولا يتحقق الجمال إلا مع التوافق والتناسب.

يتحطم العمل الفني حالما يختفي الإحساس بالفن.

كلّ قانون يظهر ويُطبق بحرية كاملة وفقاً لأسسه ومبادئه، يُبرز الجمال الموضوعي، شريطة أن يجد هذا الجمال الذات الجديدة التي تفهمه وتقدره.

لا يمكن تقديم حسابٍ عن الجميل من الفن أو الجميل من الطبيعة:

أولاً، لأنّ علينا حينذاك أن نعرف القوانين التي تعمل الطبيعة العامة وفقها وتريد أن تعمل استناداً إليها حينما تستطيع،

وثانياً، علينا أن نعرف القوانين التي تعمل الطبيعة العامة وفقها بإنتاجية على شكل الطبيعة الإنسانية حينما تريد أن تعمل وحينما تستطيع.

نستنتج جمال الشباب مما سبق:

العمر: تراجع تدريجي عن الظهور.

إلى أي حدّ يمكن للمسّن أن يوصف بالجمال:

الجمال الأبدي لآلهة الإغريق.

يجذبنا إليه الفنان الكبير، ويصيبنا بعدوى الفن، يثير لدينا كل قدرة لإدراك روعة الفن، ولأنّ لدينا في مخيلتنا تصوّراً عن العظمة، ونحمل في فطرتنا شيئاً منها، يتهيأ لنا أننا نحمل نواة الفن في أنفسنا.

لكلّ منّا عاطفة ووجدان، بعضنا لديه الفطرة الصافية، ونادراً من يدرك منّا مفاهيم الفن.

هناك درجة معيّنة في كل أنواع الفنون يمكن لكل امرئ أن يدركها بفطرته وغرائزه الطبيعية. بعبارة أخرى: يمكن أن يصل إليها وحيداً، إلا أنّه من المستحيل له أن يتجاوز هذه الدرجة إذا لم يمدّ الفنّ نفسه يدّ العون له.

يقول المرء في مديح الفنّان: ينبع كلّ فنّه من ذاته. ليتني لا أكون مضطراً لسماع هذا القول بعد الآن. إذا أنعمنا النظر في أعمال الفنّان ذي العبقرية الرفيعة فلن نجد لها على الأغلب إلاّ ذكريات؛ فمن لديه الخبرة يستطيع إثباتها غالباً بشكلٍ إفرادي.

من يعرف من داخله ينتج عادة أصولاً ولياقاتٍ زائفة.

يفترض ألاّ يصوّر الفنّ التافه من الأمور.

يجب أن تحسم اليد الأولى ما يمكن للأخيرة أن تفعله. ولا بدّ هنا من تحديد ما يجب فعله.

إنتاج مشروع كامل من مخططات أوليّة كثيرة؛ أمرٌ لا يستطيعه حتى الأفضل إلا نادراً.

حتى الموهبة المتوسطة لا تخلو من الخيال في حضرة الطبيعة؛ لذلك فإنّ اللوحات الفنية المعنى بها إلى حدّ ما، تُدخل السرور إلى القلب دائماً.

على الفنانين الشاملين أن يشكروا التعلّم أكثر من الطبيعة.
خطأ الهاوي غير المتخصص أنه يريد جمع الخيال مع التقنية بشكل مباشر.
أرفع أهداف الفن تصوير الأشكال الإنسانية حسياً جميلة ومهمّة قدر
المستطاع.

التقنيّة، مجتمعةً مع ما هو سخيّف وتافه، ألدّ أعداء الفن.
أكثر ما يُرهب التلميذ أنّ عليه في النهاية أن يقف قبالة معلّمه. وكلما
كان ما يعطيه المعلّم أرفع مستوى، كان المُستقبل لهذه المعرفة أكثر قلقاً لا بل
أكثر يأساً.

كانت المعابد في العصور القديمة تركّز على الله في الإنسان، أما كنائس
العصور الوسطى فتسعى إلى الله في العُلا.

باريس منفتحة، وستصبح إيطاليا كذلك بعد حينٍ، وما دام في صدرنا
نفس سننفي الفنّان بعيداً في هذا العالم، ونُحيل الفنّ إلى محدوديّته.
الطبيعة العضوية: حيّة حتى أصغر جزء فيها. الفنّ: تشعر وتتحسس
بأدق مكوّناته.

فنّ الرسم أكثر الفنون غفراناً وراحة بال. أكثرها غفراناً لأنّ المرء
يغفر لهذا الفنّ كثيراً ويُسرّ به، نظراً لموضوعه ومادته، وبالرغم من أنه ليس
إلاّ حرفةً، أو يكاد يكون فناً في أحسن حال؛ من ناحية لأنّ رسماً تقنياً لا حياة فيه
يُعجب المثقف وغير المثقف، مما يجعل هذا النوع من الفنّ غير محتاج
للارتفاع بمستواه إلى مستوى الفنّ الحقيقي حتى يتلقاه الناس بالترحاب.
فالواقعية في الألوان والسطوح وفي علاقات الموضوعات المرئية مع بعضها
توحي بالراحة، وبما أن العين معتادة على رؤية كل الأشياء فلا يضيرها أن

ترى شكلاً مشوهاً كما يضير الأذن سماع صوتٍ نشار. يتقبل المرء رؤية أسوأ الصور لأنه معتاد على رؤية أشياء أسوأ. لذلك ليس الرسام في حاجة إلا ليكون بعضاً من فنّان حتى يجد جمهوراً أوسع من الموسيقي الذي يكون في مستواه؛ ويستطيع الرسام البسيط أن يعدّل وحده ويغير كما شاء، أكثر من الموسيقي البسيط أيضاً، الذي يحتاج إلى التعاون مع آخرين في فنّه حتى يحصل على تقدير الجمهور له.

خودوفينسكي *Chodowiecki*^(١) فنّان محترم جداً، ونقول: إنّه مثالي أيضاً. تنبض أعماله بالحياة والفكر، وتنطق بالذوق والكياسة. فقد كان ولا مجال لطلب مثالية أكثر، في المحيط الذي عمل به.

(١) أنتج الرسام والنقاش الألماني Daniel Nikolaus Chodowiecki (١٧٢٦-١٨٠١)، أكثر من ٢٠٠٠ لوحة تصور مشاهد من الحياة الشعبية الألمانية، وكان في عصره أهم من صوّر أعمال الأدب الألماني الكلاسيكي.

في السياسة

كتابة التاريخ نوع من التحلل من ريق الماضي.

بينما كنت أتابع طيلة حياتي سيرة أشخاص بارزين ذوي أهمية صغرت أم كبرت، خطرت لي فكرة: بعض الناس في نسيج هذا المجتمع العالمي يشبه الورقة، وبعضهم يشبه الغلاف، فبينما يشكّل الأولون عرض هذا المجتمع واتساعه، يضمن الآخرون تماسكه وثباته، وربما يعطونه أيضاً بعض الشكل. أمّا مقص إلهة الحظ، فيحدد تلك المسافة التي يجب أن يقبع فيها الآخرون ويستسلموا. ولا نريد أن نذهب بعيداً في هذه المقارنة.

واجب المؤرخ أن يفرّق بين الصحيح والخطأ، بين المحقّق وغير المحقّق، وبين ما هو موضع شكّ وما هو مُستنكر.

لا يكتب التاريخ إلا من له اهتمام بالحاضر.

الأفكار تعود، القناعات تنتشر، والأوضاع تمرّ كنهرٍ بلا عودة.

«لم يحلم أي شعب في هذا العالم حلم الحياة بأجل مما فعله الإغريقيون».

في كل العصور؛ لم يعمل العصر على تطوير العلوم بل حقق ذلك الأفراد فقط. أما العصر فهو الذي قتل سقراط بالسّم، والعصر هو الذي أحرق أثواب الحماية؛ العصور لا تتغير، كل عصر يشبه ما قبله.

لِنُعَدُّ في التاريخ وننظر، نَرِ فيه أناساً لو عاشرناهم لتوافقنا معهم،
وآخرين لو اجتمعنا بهم ما كنا لنطبق ذلك، ولكنا قطعاً على خلاف معهم.

الشعور الإنساني التاريخي هو ذلك الشعور الذي يدفع المرء إلى مراعاة
خدمات الماضي وفضائله على عصرنا، في أثناء تقويمه لخدمات العصر وفضائله.

أفضل شيء نكتسبه من التاريخ هو ذلك الشعور بالحماسة التي يثيرها لدينا.

لا أحد يستطيع تقويم التاريخ مثل ذلك الذي عاش التاريخ. وهذه حال
الأمم، فلم يكن ممكناً للألمانيين أن يقوموا الأدب إلا بعد أن أصبح لديهم أدبهم.

لا يستطيع المؤرخ أن يتأكد من صحة كل ما يرويهِ ولا يحتاج ذلك،
هل يستطيع علماء الرياضيات أن يشرحوا لنا لماذا لم تتحقق حساباتهم بأن
ذاك المذنب^(١) الذي ظهر سنة ١٧٧٠ سيعيد الكرة بعد خمس سنوات أو
إحدى عشرة سنة، ولم يتحقق ذلك في الموعد المتوقع؟!!

التاريخ كما الطبيعة، وكما كل ما هو عويص فهمه فيها، لأنها من
الماضي والحاضر والمستقبل؛ كلما تعمق المرء فيها أكثر ازدادت العضلات
التي يصادفها صعوبة وتعقيداً. أما من لا يهابها ويندفع بحماس إليها يشعر،
وهو يجتهد في التعامل معها، كيف يزداد علماً ويزداد راحةً وانسراحاً.

لدى الألماني حرية في الخلق والنفس، لذلك لا يحس بنقص الحرية في
الكياسة والفكر.

(١) ظهر مذنب Lexell في ١٤ حزيران/يونيو ١٧٧٠ وعاد ليظهر في آذار/مارس ١٧٧٦
مرة أخرى نهاراً ومع الأفق فقط؛ ومع أن الاختصاصيين أكدوا عودته كل خمسة
أعوام، لم يظهر بعد ذلك إلا سنة ١٨٦٧؛ إذ إنه غير مساره، وهذا ما لم يتبينه غوته.

لا يمكن أن تكسب أمةً حكماً لصالحها إلا إذا كانت مستعدة لتحكم على نفسها حكماً صحيحاً، وغالباً ما تصل إلى ذلك متأخرة.

ما يسميه الفرنسيون "tourure" (الاستدارة) ليس إلا غطرسة جرت عليها عملية تحويل إلى نوع من الظرافة والكياسة. وذلك يدلنا على أن الألمان لا يمكن أن تكون لديهم هذه «الاستدارة»: فتكبرهم قاسٍ وخشن، وظرافتهم ناعمة ومتواضعة، والواحدة منها تلغي الأخرى، ولا يمكن توحيدهما.

لا يهتم الألمان بالبقاء مع بعضهم، ولكن ببقاء كل واحدٍ وحده. فكل واحدٍ، كائناً من كان وراغباً بها أراد، لديه شيء خاصٌ به لا يريد أن يستغني عنه لإنسانٍ آخر.

على الألمان ألا يتلفظوا بكلمة «عاطفة» على مدى ثلاثين عاماً، لعلّ العاطفة تبدأ في العودة إليهم تدريجياً؛ أما الآن فهناك رفقٌ مع ضعفٍ قد يكون ذاتياً وخارجياً.

العاطفية عند الإنكليز هزليةٌ ولطيفة، وعند الفرنسيين شعبيةٌ وباكية، أما عند الألمان فهي بسيطةٌ وواقعية.

لا يغامر الألماني بأكثر من أن يرتفع صوته مع جاره أو عليه، وربما ليست هناك أمةٌ أجدر من الأمة الألمانية بأن تتطور بنفسها ولنفسها؛ وهذا ما منحها مزيةً كبيرة، وهي أن العالم الخارجي لم ينتبه إليها إلا متأخراً.

لم يفهم الألمان في هذا العصر من حرية الفكر والنشر إلا أنهم أحرارٌ في إساءة بعضهم إلى بعضهم الآخر.

ما كان شيءٌ أكثرَ مجلبةً للسرور عند الألمان في العصور الفائتة، من عدم اضطرار أحدهم للخضوع لأمر الآخر.

العدالة صفة الألمانين وَوَهُمُّهُمْ.

يتميّز الألماني الصحيح بالثقافة المتنوعة وبوحدة الطّبَاع.

يُحِجِّلُنَا الإنكليز بالفكر الإنساني الصافي والنية الطيبة، والفرنسيون بالحكمة اللطيفة والتنفيذ العملي.

على الألماني أن يتعلّم كل اللغات، فلا يزعجه الغريب في داره، ويشعر كما لو أنه في داره وهو في بلاد الغربية.

إذا طلبت من الناس واجباتهم ولم تعترف لهم بحقوقهم، فعليك أن تدفع الثمن غالياً.

صراع القديم والحاضر والثابت مع التطور والتعلّم والتحوّل صراعٌ قائمٌ أبداً. فعن النظام المبالغ به تنشأ الخذلقة، وإلى أن تتخلص منها تُفسد النظام وتُضيع الوقت قبل أن تشعر بضرورة إعادة النظام. الكلاسيكية والرومانسية، الالتزام بالروابط وحرية اختيار المهنة، هو دائماً الصراع نفسه الذي يولّد صراعاً آخر جديداً. لذا فإنّ حكمة الحاكم تقتضي التخفيف من هذا الصراع حتى لا يكون هناك غالبٌ ولا مغلوب، ولكن هذا ما لا يستطيعه الإنسان ولا يريده الله.

أي حكومة هي الأفضل؟ هي تلك التي تعلّمتنا أن نحكم أنفسنا.

نحتاج في لغتنا إلى كلمة تكون كالطفولة إلى الطفل، تعبّر عن علاقة الشعبوية بالشعب. فالمرّبّي يجب أن يستمع إلى الطفولة لا إلى الطفل، كذلك المشرّع والحاكم يستمعان إلى الشعبوية لا إلى الشعب. فتلك تعبّر بصوت واحد وبحكمة ودوام وثبات وصدق وصفاء؛ أما ذاك فلا يعرف حقيقة ما يريد من كثرة ما يريد. وبهذا المعنى يمكن بل يجب أن يكون القانون

تعبيراً عن الإرادة العامة للشعبوية، إرادة لا يمكن أن تُحسن الجماعة التعبير عنها، ولكنّ المتفهم يلتقطها، والحكيم يصوغها، والجيد يُسرّها.

لو استطاع المرء أن يلغي الموت، لما كان لدينا مانع؛ أما إلغاء عقوبة الإعدام فذلك أمرٌ عسير؛ وإن حصل ذلك فلا بدّ من استحضاره بين الحين والآخر.

إذا اتفق أهل القانون على عقوبة الإعدام، فإنّ عَوْن الذات سيظهر، وسيدق الثأر الأبواب، ويدخل الانتقام الدموي.

القوانين كلّها من وضع الرجال المسنّين، ويبقى الشبان والنساء في حيز الاستثناء، والقاعدة المسنّون.

لا يحكم العاقل بل العقل، ولا الحكيم وإنما الحكمة.

الناس كلّهم متساوون في الجماعة، ولا يمكن أن تستقر جماعة إلا على مبدأ المساواة، أما مبدأ الحرية فلا يمكن أن يكون أساساً لهذا البناء البتة. أود أن أرى المساواة في المجتمع، أما الحرية، تلك الحرية الأخلاقية التي تدفعني إلى الانضواء تحت عباءة الجماعة، فتلك التي يجب أن أجلبها معي.

يجب أن تقول لي الجماعة التي أود العيش معها أو فيها: «يجب أن تكون كما كل واحد منّا». ولكنها لا تستطيع أن تضيف إلى ذلك إلا قولها: «نرجو أن تكون حرّاً أيضاً»، وهذا يعني: نرجو أن تمارس مزاياك بقناعة تامة وبإرادة حرّة حكيمة.

المساواة المتوهّمة: أولى بوادع عدم المساواة.

حالما ينتهي الطغيان يبدأ الصراع بين الأرستقراطية والديمقراطية.

الناس أدوات في القرن الذي يعيشون فيه، وغالباً ما يتحركون بلا

وعي منهم.

خطأ ما يسمّى التنوير: إنه يعطي الناس وفرةً في الأفكار لا يستطيع المرء تغيير وضعها المتفرد.

سؤال جميل: هل يمكن لأمة أن تنضج؟ أجيب عن هذا السؤال بالإيجاب، إذا أمكن أن يولد الرجال كلهم في الثلاثينات من أعمارهم؛ فالشبان سيكونون دائماً طويلي اللسان، والمسنون دوماً قصيري اللسان، لذلك فإن الرجل الناضج ينحصر فيما بين تلك المرحلتين، وعليه أن يدبر أمره بنفسه، ويجوِّض هذه الحياة.

الحقّ الجليل، ليس في ما تمارسه في شؤونك الخاصة، وهذا من المسلمات بالطبع، وإنما في ما تمارسه في الحياة العامة بكل تفهّم وفطنة. الثروة لها الجلالة والإجلال، ويمكنها التصرف من دون أخذ الثواب والعقاب أو الحق والباطل بعين الاعتبار.

الحُكم والاستمتاع أمران لا يلتقيان. فالاستمتاع يعني أن تكون مع الآخرين في سرور، والحكم يعني أن تكون مع الآخرين جاداً وحكياً. تتعلّم السيطرة بسهولة، أما الحُكم فبصعوبة.

لا يستطيع أن يعطي الأوامر إلا من كانت لديه المفاهيم الصحيحة. إذا انقطعت عن قراءة الصحف عدة أشهر ثم قرأتها بعد ذلك مجتمعةً يتبيّن لك كم من الوقت قد أضعت مع هذه الأوراق. كان العالم دائماً منقسماً إلى أحزاب ومجموعات، وهو اليوم أشد انقساماً، ففي كل وضع حرج يتطوع المحررون لتأييد هذه الجماعة أو تلك، ويغذّون التشاحن أو التوافق الداخلي من يوم إلى يوم حتى ينتهي الخلاف ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، ليعودوا بعد ذلك ويمجّدوا النتيجة.

الرسميَّ ينال الموقع البارز في الصحف، أما ما عدا ذلك فيظهر
بحرفٍ صغير.

يمكن الحصول على فريدريك الثاني فوق حصانه، وفق خودوفيسكي،
منقوشاً على لوحة من قصدير في نورنبرغ، حيث يقود جنود الأطفال ويبقى
جديراً بالاحترام. ولكني لا أود أن أراه بهذه الطريقة، لا في حجمه في الحياة
ولا أقل هيبة من ذلك.

في العلوم

من الضروري في المحمود من العلوم أن نعود إلى ما هو صحيح وغير مكتمل مما كان لدى الأقدمين، ونعمل عليه ونكمله.

إذا لم يُعطِ رجالٌ مسنون بصيرون ومدركون وعاقلون العلوم حقها من التقدير فذلك لأنهم توقعوا منها ومن أنفسهم أمراً كثيراً.

يعيد المراقب العلاقة السببية العامة التي يبحث عنها، وكذلك عن مظاهر شبيهة أخرى، إلى سبب عام؛ من دون أن يفكر بالسبب التالي إلا ما ندر.

العلماء خبيثون عندما يعارضون، وينظرون إلى الخطأ كعدو مقيت.

تتخلف العلوم إذا اكتفى المرء بما هو ليس جديراً بالمعرفة، وبما هو ليس ممكن المعرفة.

المذهب التجريبي الرفيع ينظر إلى الطبيعة كما ينظر العقل الإنساني إلى الحياة الواقعية.

تساعدنا العلوم في التخفيف، نوعاً ما، من تلك الدهشة التي تدعونا إليها الطبيعة، وبعد ذلك توقظ لدينا تلك المهارات اللازمة في هذه الحياة التي تسير بكل نواحيها نحو الغنى، لتجنب الضار والتمهيد للنافع.

يشكو المرء من الأكاديميات العلمية أنها لا تتدخل في الحياة العامة بما يكفي من النشاط، إلا أن السبب في ذلك لا يعود إليها وإنما إلى الأساليب التي تتعامل بها مع العلوم عامةً.

نجد في كل مهنة أو عمل أناساً قاصرين وغير أكفيا بطبيعتهم، ولكن التسرع والغرور من القوى الشيطانية الخطرة التي تجعل من الأقدر على العمل غير قادر عليه، وتوقف أي تأثير له، وتشل كل خطوات التقدم. ينطبق ذلك قبل كل شيء على الأمور الحياتية وفي مقدمها العلوم.

لا مكان في العلوم للميثولوجيا والأساطير. دعونا نترك ذلك للشعراء الذين بُعثوا للتعامل معها لفائدة العالم وسروره. أما الرجل العالم فيقتصر على الواقع الواضح المتتالي، لكنه إذا أراد أن يكون أديباً بليغاً بين الفينة والأخرى، فليس ذلك بمحظور عليه.

يوجد كثير مما هو أكيد وثابت في العلوم، هذا إذا لم ندع الاستثناءات تُضللنا عن الطريق الصحيح، وإذا عرفنا كيف نقارب العضلات بالجديّة اللازمة.

يملك الألمان، وليسوا وحيدين في ذلك، موهبة إغلاق الطريق إلى العلوم. الإنكليزي ماهرٌ في الاستفادة الفورية من كل اكتشافٍ جديد حتى يوصله إلى اكتشافٍ آخر وعمل نشيط. ونسأل الآن: لماذا يتقدمون علينا في كل مجال!؟

كيف لأحدنا أن يبدو ماهراً في اختصاصه إذا لم يتعظ مما لا يفيد!؟ ضربٌ من الجنون أن يعتقد كلُّ منا أن عليه أن يُحدث بما يعتقد أنه قد عرفه. بما أن اليقين ضروري في كل محاضرة تعليمية، فلا يجوز أن يُعطى للتلميذ ما هو غير أكيد، لذا لا يجوز للمدرس أن يترك أي مسألة ويلتف حولها مبتعداً عنها. يجب أن يكون هناك شيء ثابت يرتكز إلى أسس صحيحة، ومن هنا قد يعتقد المرء لبرهة السيطرة على نوع من الفراغ المجهول ريثما يأتي آخر وينزع الركائز القديمة، ويرتب أسساً جديدة كركائز بديلة.

أن تشرح البسيط بالمعقد، والسهل بالصعب، فلعمري ذاك وبأل ما بعده وبال، يتوزع في جسم العلوم بأكمله، يراه الفطنون، ولكن لا يُقرُّ به في كل مكان.

سيئة كبيرة في كل مجالات العلوم، ذلك أن بعضهم ممن لا يملكون أي مخزون من الأفكار يتجرؤون على التنظير لأنهم لا يدركون أن ذلك لا يسوغه إلا علمٌ ومعرفةٌ واسعان. يبدوون العمل أولاً بعقل سليم، لكن لهذا العقل حدودٌ إذا تم تجاوزها وقع في المحذور، وأصبح مخالفاً للمنطق. وينحصر المجال الوراثي والمخصص للعقل البشري في دائرة العمل والتعامل. قلما يخطئ في دائرة العمل، إلا أن التفكير السامي واتخاذ القرارات والأحكام ليس من شأنه.

الخبرة مفيدة للعلوم في البدء، ولكنها ضارّة بعد ذلك، فالخبرة تجعل الإحاطة بالنظامي والاستثنائي واقعاً. لكن الوسطي بين الحالتين لا يكون البتة واقعاً صحيحاً.

تبتعد العلوم بوجه عام عن الحياة، ولكنها تعود إليها بطريق غير مباشرة. وليست العلوم إلا كتاباً يختصر هذه الحياة ضمن دفتيه، فهي تُظهر إلى العلن الخبرات الداخلية والخارجية في تناسقها وترابطها.

لا تؤثر العلوم على العالم الخارجي إلا بالتطبيق النشط، لأنها كلها في الحقيقة متوقعة، ولا يمكن أن تصبح ظاهرة إلا بتحسينها لعملٍ أو فعلٍ ما بالتطبيق، وكل ما عدا ذلك لا يقود إلى شيء.

يجري التعامل مع العلوم، حتى لو في دوائرها الداخلية، باهتمامٍ آنيٍّ ومتجددٍ في كل مرة. ويجرّض إسهاماتها في الحياة العامة أيّ دفع خارجي، وبخاصة إذا كان ناتجاً عن حدث جديد أو شيء خارق أو على الأقل نتيجة أمرٍ مشجعٍ على البحث، إسهامات قد تمتد إلى سنوات طويلة، وتكون ثمرة ومفيدة كما نرى في العصور الحديثة.

تعتمد المعرفة على إدراك ما هو مختلف ومُميّز، أما العلوم فتعتمد على الاعتراف والقبول بها هو غير مُميّز.

تتحول كل المعارف من خلال إدراك ثغراتها والشعور بنقائصها إلى علومٍ موجودة قبل المعرفة، وقبل معاصرتها، وتبقى بعدها. في المعرفة وفي التأمل نجد الخطأ والصواب. أما كيف تبدو العلوم، فهي ذات طبيعةٍ صادقة كاذبة.

لم نكن لنعدّ معرفتنا مجزأة لو لم نكن نملك مفهوماً عما هو كلي. لقد تقدّم بنا القرن، إلا أنّ كلاً منّا يبدأ من جديد.

لدينا أسباب تدفعنا كلّ يوم إلى الكشف عن خبراتنا وتنقية أرواحنا. ننصح كل امرئ أن يبقى على طريقه التي اتخذها وألاّ يستكين لسلطة، ولا يُخرج بتوافق عامّ، ولا يندفع نحو أحدث الأزياء.

السلطة؛ لا وجود للإنسان من دونها، ومع ذلك فهي تأتي بالخطأ والصواب على حدّ سواء، وهي تخلّد بالتفصيل ما يُفترض أن يمرّ منفرداً، كما أنها ترفض وتسمح بعبور ما يجب إبقاؤه، وهي السبب الرئيس لعدم ترحيح الإنسانية عن موضعها.

رضا الكامل بالناقص أقلّ مما يتوقع المرء.

أمران لا يكفي الحذر منهما مهما كان شديداً: أن يقتصر المرء على اختصاصه بسبب العناد، وأن يخرج عنه بسبب عدم الكفاءة.

إذا ترددت عزائم الكبار في العلوم تراجع عزيمة الشبان. فالكبار ينكرون الخطوات المتقدمة ما دامت لا تنسجم مع أفكارهم السابقة،

والشبان ينكرونها عندما يكونون غير ناضجين بعد لتقبّل الفكرة، ويرغبون مع ذلك في تحقيق شيء استثنائي.

هم جادّون بلا ريب، ولكنهم لا يدرون ما يفعلون بهذا الجدّ. لا يريدون أن يعرفوا شيئاً عمّا يفهمونه.

في نيويورك تسعون مذهباً مسيحياً مختلفاً، كلّ منها يعبد الخالق، ويمجّد السيّد على طريقته من دون أن يخطئوا بحقّ بعضهم. كذلك في أبحاث الطبيعة، بل في كل بحث، علينا أن نكون كذلك؛ إذ ماذا يعني أن يتكلم كلّ فرد عن الليبرالية ويريد أن يعيق الآخر عن التفكير والتعبير على طريقته؟!

على المرء أن يجذر زيادة المسائل المعضلة في الخلافات العلمية.

في العلوم، كما في أي مجال آخر، إذا أراد المرء أن يتوسع في أبحاثه على كل شيء، لا يبقى له في النهاية للاكتمال إلا أن يجعل الحقيقة خطأً والخطأ حقيقة. لا يمكن أن يقوم المرء وحده بكل الأبحاث، وعليه أن يعتمد على ما لديه من معلومات سابقة، أما إذا أراد أن يحصل على مكانة رفيعة فعليه أن يُدعّن لرغبات أولي الخير والبرّ عليه. أرجو أن يختبر كلّ المدرسين الأكاديميين أنفسهم حول ذلك.

ليست الفرضيّات إلا هياكل تضعها أمام البناء وتزيلها عند اكتماله. هي ضرورية للعامل، ولكن لا يجوز أن تُعدّ من البناء.

يجب أن تكون الكتب الدراسية جذّابة، وهذا لا يتأتّى إلا عندما تقدّم الصورة البهيجة سهلة المنال للمعارف والعلوم.

مما يسيء للاختصاصيين عدم جواز إهمالهم لما هو غير مفيد ونافع.

اعترافنا بخطايانا وأخطائنا وعيوبنا الأخلاقية أسهل بكثير من نظائرها

العلمية.

هذا لأنّ الضمير خاشع مُسترحِم، والعقل مترفع متكبّر، لأنّ أيّ تراجع أو نكوص يدفعه إلى القنوط واليأس.

ومن هنا يتأتّى أنّ الحقائق الجليّة أوّل ما يُعترف بها في السر لتنتشر بعد ذلك تدريجياً، حتى يُصبح ما استنكره المرء في البداية أمراً طبيعياً مقبولاً.

يطرح الجاهلون أسئلةً أجاب عنها العارفون منذ آلاف السنين.

تظهر عند توسّع العلوم وتطوُّرها بين الفينة والأخرى، الحاجة إلى شيء من الفوضى، وهي تأتي غالباً بعد تأملات وأفكار جديدة، إلا أنها تبقى دائماً عابرة مؤقتة.

يبقى رجال الاختصاص على اتصال فيما بينهم، أما الهواة فيصعب عليهم الشعور بضرورة اتّباع الآخر.

ولذلك نرحّب بتلك الكتب التي توضح لنا الاكتشافات التجريبية الجديدة وطرائق البحث المستحبّة.

إذا رأينا معارفنا مشروحة بطرائق أخرى، أو حتى بلغة أجنبية، فإننا نشعر بإغراء الجديد وشهرته المتجددة.

إذا اختلف اثنان من كبار علماء الاختصاص الواحد في رأي لهما، فإنّ ذلك يعود على الأغلب إلى معضلة لم تجد بعدُ حلاً تقف حائلاً بينهما.

سيئ الحظ من يدخل في جمعيات وهيئات؛ لا يجوز لـ فون هومبولت ^(١) أن يعلن شيئاً ما إذا لم يكن ذلك مقبولاً في باريس. كيف سيصبحُ إذاً ما ندعوه معرفةً وعلماً؟ بعد مئة سنة سيختلف كل شيء.

(١) عاش عالم الطبيعة الألماني Alexander von Humboldt (١٧٦٩-١٨٥٩) في باريس، موئل العلوم الطبيعية آنذاك من سنة ١٨٠٨ ولغاية ١٨٢٧.

قد تتسع الخبرة إلى ما لا نهاية، أما النظرية فلا يمكن أن تكون، بهذا المعنى، أصفى أو أكمل. فالخبرة تلقى الكون بكل أبعاده مفتوحاً أمامها، أما النظرية فتبقى مُتضمَّنةً في حدود الإمكانيات الإنسانية. لذلك يجب أن تتكرر كل أنواع التصورات والخيال حتى نصل إلى الحالة الرائعة التي تكتسب فيها النظرية الضيقة، بفضل الخبرة المتسعة، رواجاً وإعجاباً.

من عاصر اختراع المنطاد الهوائي^(١) سيتحدّث حتماً عن ذلك الحدث الذي بهر العالم آنذاك، وعن أي إعجاب رافق هذه السفن الجوية وأي رغبة اشتعلت في ألوف الخواطر للمشاركة في هذه الرحلات الخطيرة التي كانت دائماً مجال تَمَنٍّ ورجاء ونبوءة، وكانت متوقعة بسرور لا يُدانيه سرور. كذلك سيتحدّث بلا ريب عن ذلك الاهتمام الذي أولته إياه الصحافة، وكيف تحدثت عن كل رحلة سعيدة انتهت بسلامة وحبور، أما السجلات ونقاشو النحاس فقد كان لهم نصيب كبير في العمل على أولئك الذين انتهت بهم سعادة الرحلة إلى سعادة الآخرة. لكن هذا لا يمكن أن يُستعاد حياً في الذاكرة كما يُستعاد الاهتمام بحربٍ مهمة اندلعت منذ ثلاثين عاماً.

يبين لنا تاريخ العلوم كل ما حصل لها وما مرّت فيه من مراحل مع تعاقب العصور، كانت فترات تقدمت العلوم فيها بسرعة كبيرة، وأحياناً أخرى لاقت تطوراً بطيئاً. نعبّر هنا عن رأي مهم، جديد أو متجدّد، وسيكون مقبولاً عاجلاً أم آجلاً؛ هناك مشاركون في العمل؛ فالنتائج تمر عبر التلاميذ، يتلقونها، يفهمونها وينشرنها، ولكننا نلاحظ بكل أسف أنّه

(١) استطاع الأخوان Montgolfier اللذان اخترعا المنطاد الذي يرتفع بالهواء الساخن، أن يقوموا بأول رحلة لهما بتاريخ ٥ حزيران/يونيو ١٧٨٣ في باريس.

ليس من المهم أن يكون هذا الرأي صحيحاً أو خاطئاً: فَلِكِلْتَا الحالتين مسيرة واحدة، كلتاهما ستكونان أخيراً مجرد عبارة قيلت، وكلتاهما تنطبعان في الذاكرة ككلمة ميتة.

تسهم الأعمال الكبيرة، وخاصة تلك التي تتخذ شكل الموسوعة، في تخليد الخطأ، لأنها تنقل الصحيح والخطأ من جيلٍ إلى جيلٍ. وهنا لا يمكن مراجعة العلوم، بل يأخذ المرء منها ويقبل ما يعرفه ويستيقنه ويظنّه، ولهذا تبدو أعمال كهذه مُستغرِبةً بعد مرور خمسين عاماً.

تاريخ العلوم صدعٌ كبير تطلّع منه أصوات الشعوب واحداً تلو الآخر. قد يُكتشف ويُتعرّع كثير من الأشياء من دون أن يكون لها أثر بادٍ في العالم، ويمكن أن يكون تأثيرها فعالاً، ولكن ليس واضحاً، وقد تؤثر ولا تخرج إلى العلانية. ولذلك يعاني كل اختراع من ارتباطه بأروع الأحاجي والألغاز.

تستمرّ العلوم، كما الفنون، في قسمين: قسمٍ ماثور (واقعي) يمكن تعلّمه، وقسمٍ غير ماثور (مثالي) لا يمكن تعلّمه.

وللقسم المثالي في تاريخ العلوم علاقة مع الواقعي تختلف مع كل ما سواها في تاريخ العالم.

تاريخ العلوم: يتمثل القسم الواقعي بالظواهر، والقسم المثالي بالآراء حول هذه الظواهر.

أربع مراحل للعلوم:

طفولية، شاعرية، خرافية؛

تجريبية، فاحصة، مُستطلعة؛

عقيدية (دوغمائية)، تعليمية، دقيقة؛

فكرية، منهجية، غامضة.

تاريخ العلوم:

ما الذي يجب أن يهتم الإنسان به في كل العصور وفي كل حياته؟

كيف بحث الإنسان بالتدريج عن محاسبة نفسه إذا قصر، وراحتها إذا

لم يقصر؟

تاريخ المعرفة:

ما الذي تعلّمه المرء على مرّ الأيام؟

كيف كان سلوكه بالتعامل مع المعرفة في الحصول عليها والاستفادة منها؟

حقارة العصور الوسطى^(١) حتى القرن السادس عشر؛ الهزء بأشخاص

رائعين، مثل أرسطو وأبوقراط، ومحاولة تنفير الناس منهم، والسخرية منهم

بأساطير سخيفة.

تصمت الطبيعة أمام التعذيب؛ أما جوابها الصادق عن السؤال

الصالح فهو: نعم! نعم! كلا! كلا! وما عدا ذلك فهو سيء ومُنكر.

الظاهرة والتجربة لا تستطيع إحداهما أن تثبت شيئاً، وإنما هما حلقة في

سلسلة طويلة، تظهر قيمتها مع حلقات السلسلة الأخرى مجتمعة. من

يغطي سلسلة من اللآلئ ويظهر أجملها فقط، ويطلب إلينا أن نصدق أن

الأخرى جميلاتٌ مثلها، فسوف يكون من الصعب عليه أن يدخل في

صفقة مع أحد.

(١) يعني غوته بذلك عدا الكنييسة الكاثوليكية في العصور الوسطى لكل ما هو

تقدّمي وتنويري.

هي دائماً عيوننا أنواع تصوراتنا؛

الطبيعة فقط هي التي تعرف ما تريد وما أرادت.

إذا اتسعت إحدى المعارف وحن الوقت لتصبح علماً قائماً بحد ذاته، فلا بد من حصول أزمة؛ لأنّ من الواضح أنّ خلافاً في الرأي سيحصل بين من يريدون التفصيل ويحفظون للأجزاء صورتها المنفصلة، وبتعبير آخر بين من يحبون النظر إلى التفاصيل، وبين أولئك الذين يهتمون بما هو عامّ ومُجمل، ويريدون دمج التفاصيل في صياغة عامة. وبمقدار ما تجمع المعالجة العلمية الفكرية الشاملة حولها من أصدقاء ومشجعين ومشاركين، يبقى ذاك الفصل بين علمين ملحوظاً بشكل واضح، ولو لم يكن حاسماً.

فأولئك الذين أود أن أسميهم العالميين أو ربما الكليين، مقتنعون بتصوّرهم أنّ كل شيء موجود في كل مكان بالرغم من التفاوت والتنوع اللانهائي، أما الآخرون الذين أدعوهم الفرديين أو ربما التفصيليين فيقرّون بأهمية النظرة الشاملة، ويلاحظون ويعرفون، ويُدّرّسون وفق هذا النهج، إلاّ أنهم يبحثون دائماً عن استثناءات تثبت عدم التجانس التام، ولديهم الحق في ذلك. إلاّ أنّ خطأهم يتجلى في عدم رؤيتهم للشكل العام والجامع حينما يكون مستتراً، وفي نكرانه حين يكون مُغيّباً. وبما أنّ هذين الأسلوبين من التصوّر والتفكير موجودان منذ البداية، وسيظلان أبداً متقابلين حتى النهاية من دون أن يتوافقا أو يُلغِي أحدهما الآخر، فليحتط المرء من الجدال والنقاش، وليعبّر عن قناعاته بصدق وصراحة.

وأعود لأكرر رأيي؛ فلا يمكن للمرء في هذه المراحل العليا أن يعرف وإنما عليه أن يعمل كما لو كان يلعب لعبة يعرف عنها قليلاً، وعليه أن يُقدّم

فيها كثيراً. قدّمت لنا الطبيعة لوحة الشطرنج التي لا نستطيع مغادرتها ولا نرغب في ذلك، ونحتت لنا الحجارة التي يجب أن نتعرّف قيمتها وحركتها وقدرتها شيئاً فشيئاً؛ وهكذا علينا أن نقوم بالحركات التي نأمل أن تضمن لنا الربح؛ وهذا ما يفعله كل فرد وفق أسلوبه الخاص من دون أن يرغب في نصيحة الآخرين. حسناً، فليحدّث ذلك ولنراقب بدقة قبل كل شيء من هو القريب منا ومن هو البعيد، لتفاهم بعد ذلك جيداً مع أولئك الذين يقتنعون بالجانب الذي نقف فيه. إلى ذلك على المرء ألا ينسى أنه معرّض بشكل دائم للتعامل مع مسائل لا حلّ لها، وعليه أن يكون صادقاً ونشطاً في هذا التعامل، وأن يلاحظ كل شيء يمكن أن يكون له علاقة بالمسألة، وخاصة ذلك الذي لا نستطيعه؛ لأن المرء يستطيع بذلك أولاً، أن يتعرف إلى لب المشكلة الذي قد يكون في الموضوع ذاته إلا أنّه غالباً كامنٌ لدى الإنسان. لست أدري فيما إذا كنت شخصياً سأعمل في هذا الحقل ذي المعالجة الجيدة، ولكنني أحتفظ لنفسني بحق الانتباه والإشارة إلى كل تحوّل يجري في الدراسة، وإلى هذه أو تلك من الخطوات التي يقوم بها الأفراد.

هناك أمرٌ آخر عسير قد يقابل بعض المراقبين، ألا وهو اضطرابهم في بعض الأحيان لاتخاذ استنتاج فوري يتلو الملاحظة، ويعدّهما متناظرين في الأهمية.

ليست النظريات عادةً سوى خلاصة سريعة يعطيها عقل ضاق به الانتظار، وفكرٌ لا يهدأ له بال حتى يتخلص من الظواهر ويستبدلها صوراً ومفاهيم لا بل كلمات فقط في كثير من الأحيان. يتوقع المرء بل يرى أيضاً أن النظريات عامل مساعد واحتياطي؛ أفلا يجب الحماسة والعصبية المساعدة في كل وقت؟ وبحق، لأنهما في حاجة كبيرة إليها.

نحمل مسؤولية أوضاعنا تارة للخالق وأخرى للشيطان، ونخطئ في كلتا الحالتين: يكمن اللغز في أنفسنا، فنحن أبناء عالمين اثنين. كذلك الحال مع الألوان؛ ترى اللون في الضوء وتراه في الكون، ولا تستطيع أن تعرف أين موطنه.

كل حيّ يكون جواً حوله.

أن تفهم الطبيعة وتستفيد منها مباشرة موهبةٌ لم تُعطَ إلا لقليلٍ من الأشخاص؛ فبين الإدراك والاستخدام يرسم هؤلاء شرنقةً في الهواء بكل اهتمام وعناية، ويضعون الموضوع ذا العلاقة فوقها، وينسونه مع الاستخدام. تحفظت الطبيعة على كثير من الحرية لنفسها، حتى إننا لا نستطيع بالمعارف والعلوم إدراك كنهها ولا حتى أن نحشرها في زاوية.

لا يمكننا أن نتكلم في ميدان العلوم الطبيعية عن كثير من الأمور ما لم نستعن بالميتافيزياء، ولكن ليس بتلك الحكمة الماورائية الطبيعية التي نعرفها من المدارس التقليدية؛ وإنما بمعونة ذلك الذي كان قبل المادة ومعها وسيكون بعدها.

أشنع ما يمكن أن نراه هم أولئك التجريبيون اللاعبون، وأولئك النظريون الواهمون: فتجارهم سخيفة ومعقدة، ونظرياتهم مُبهمةٌ ومُستغربة.

هناك مُتحدلقون ماجنون، وهؤلاء هم الأسوأ والأردأ.

قمة الصحيح أن تعرف أن كل شيء واقعي هو أساساً نظري. وازرقاق السماء يوحي لنا بمبدأ علم الألوان. لا تبحث عن شيء خلف الظواهر فهي دروسنا التي نتعلم منها.

الفرضيات كأغاني الأطفال، يهدد بها المعلم لتلاميذه؛ والمراقب المفكر والصادق يقَرِّ بمحدوديته، فهو يدرك أنَّ المعارف كلما اتسعت ازدادت العضلات.

خطؤنا أننا نشك في المؤكد، ونرغب في تثبيت ما هو غير مؤكد. مبدئي في أبحاثي الطبيعية أن أقر بالمؤكد وأحذر غير المؤكد. تُحدث القوى الطبيعية تأثيرات متطابقة أو على الأقل متشابهة ولكن بأساليب مختلفة.

الرياضيات كالجملية أداة للعقل الرفيع والوعي الداخلي، فهي في التطبيق فنٌّ كالفصاحة وحُسن البيان؛ ففي كلا الميدانين لا قيمة إلا للشكل، أما المضمون فلا اهتمام به. فإن احتسبت بالرياضيات قروشاً أو جنيهات، وإن دافعت ببلاغتك عن الصحيح أو عن الخاطيء، فالأمران سيان.

إلا أنَّ الأمر يتعلَّق هنا بالإنسان الذي يمارس عملاً كهذا أو يمارس فناً كذلك. محامٍ مندفعٌ في قضية حقّة، وعالم رياضيات أمام السماء ونجومها؛ يظهران كلاهما على شاكلة الخالق. «ألم يخلق الله الإنسان على شاكلته؟!»

ما هو الدقيق في الرياضيات غير الدقة نفسها؟ وهذه أليست نتيجة إحساسٍ داخلي عميق بالحقيقة؟!!

لا يمكن للرياضيات أن تمحو من الأذهان حكماً مسبقاً، ولا أن تلتطف من العناد، ولا أن تسكّن من العصبية؛ لا تستطيع أي شيء أمام كلِّ ما هو معنوي وأخلاقي.

نظرة عميقة وشاملة في الفيزياء، وستجد أنَّ الظواهر والتجارب التي بُنيت عليها، ذات قيمٍ متباينة.

الأهم في هذا الميدان هو التجارب الأوليّة الأقدم، وما بُنيَ عليها فهو ثابتٌ وصحيح. ولكن هناك تجارب ثانوية وأخرى، فإذا أعطينا هذه التجارب قيمة موازية للتجارب الأوليّة بلبت وأربكت كلّ ما أوضحته التجارب الأوليّة الأساسية.

أسوأ حكمٍ مسبق، وأكثرها ضرراً، هو إمكان إطلاق التحريم على أي بحث في الطبيعة.

على كلّ باحث أن يتصور نفسه عضواً في لجنة من الحكّام، وما عليه إلا أن ينتبه إلى كمال ما يُعرض أمامه، وإلى صحة الإثباتات المقدّمة. بعد ذلك يستجمع قناعته ويعطي صوته، سواء وافق رأيه الآخرين أم خالفهم.

كما عليه أن يبقى مطمئناً سواء وافقته الأغلبية أم وجد نفسه مع الأقلية، فهو قد أدّى واجبه، وعبر عن قناعاته، ولا سيطرة له على العقول والخواطر.

لكنّ هذا الخُلُق لم يجد له مجالاً للنفوذ في عالم العلوم، إذ إنّ الأمر في هذا العالم يعتمد على التحكّم والسيطرة، وكذلك لأن قليلاً جداً من الناس يعملون باستقلالية، فنحن نرى الجماعة تجرّ الفرد دائماً وراءها.

تاريخ الفلسفة وتاريخ العلوم، وكذلك تاريخ الأديان، كلها تبين كيف تنتشر الآراء والأفكار على كثرتها بسرعة، ولكنّ الأولويّة تكون لتلك الآراء التي يدركها العقل، بمعنى أنها تكون متناسبة مع العقل الإنساني العادي وتكون مريحة له. نعم، لكنّ ذاك المثقّف الموهوب يستطيع أن يتوقّع أنّ الغالبية ستكون ضده.

لو لم تكن الطبيعة في بداياتها الأولى، وقبل أن تظهر الحياة فيها، مجسّمةً في حيّز هذا الكون، كيف إذاً كانت ستصل أخيراً إلى هذه الحياة المتقلّبة والهائلة التي لا حدود لها؟!

طالما كان الإنسان بذاته يستخدم حواسه السليمة، فهو الجهاز الفيزيائي الأذق والأكبر الذي يمكن أن يوجد، وهذا ما هو أيضاً الوبال الأكبر على الفيزياء الحديثة، إذ كأنّ الإنسان هو من يتجنّب إجراء التجارب ويستعيض عن نفسه حصراً بأدوات صُنعية ليتعرّف الطبيعة وقدراتها، ويحدّد هذه القدرات، ويبرهن عليها بأدواته الصُنعية هذه.

كذلك الأمر مع كلّ ما يُمكن حسابه. أشياء كثيرة صحيحة وواقعية لا يمكن حسابها، وأشياء أخرى كثيرة لا يمكن عرضها على تجربة حاسمة. ولذلك، يقف الإنسان هنا في عُلاه، ففيه يتمثّل ما ليس قابلاً للوصف. ما الوتر وما هي تقنية نشره الصوت تجاه أذن الموسيقى؟! نعم، يمكن القول أيضاً: ما هي كل الظواهر الطبيعية الأولى أمام هذا الإنسان الذي يسيطر عليها ويعدّها؛ ليستطيع تمثّلها والاستفادة منها قدر الإمكان! لا نستطيع أن نطلب من التجارب أن تبين لنا كلّ ما نحب في الطبيعة. فالإنسان لم يكتشف الكهرباء إلا بعد أن عرف الاحتكاك، في حين نحصل الآن على هذه الظاهرة القيّمة بمجرد تلامس بسيط.

الصخور معلّمون بكم، يُخرسون المراقب، وأفضل شيء نتعلمه منها هو ألا نبوح بسر.

نرى بعض الأمور الهامة والقيّمة مكوّنة من أجزاء ضُمت إلى بعضها، فلننظر مثلاً إلى الأعمال الكبرى في فن البناء والعمارة، ألا نرى أجزاء قد ضُمت إلى بعضها وقد رُكبت معاً بشكل منتظم وأحياناً بشكل غير منتظم! لذلك نرى مفهوم التركيب الذري بنائه المكوّن من جزيئات صغيرة قريباً منّا ومريحاً لنا؛ وهذا ما يدعونا إلى عدم التردد في استخدامه في الحالات العضوية أيضاً.

من لا يدرك الفرق بين الوهمي والمعنوي أو بين النظامي والافتراضي،
فسيكون في وضع سيئ إذا امتهن البحث في الطبيعة.

هناك فرضياتٌ يضع الفكرُ والخيالُ نفسيهما فيها بديلاً عن الفكرة.

ليس من الجيد أن نبقي طويلاً ندور في فلك المعنوي المجرد. ولا ضرر
إذا تطلّع المتفوق المحجوب إلى أن يكون ظاهراً للعيان، فأفضل من يعلم
الحياة هم الأحياء.

حتى الأناس ذوي الإدراك والعقل لا يلحظون أنهم يريدون إعلان
ما هو خبراتٌ أساسية، على المرء أن يرتاح لها.

مع ذلك فلربما كان هذا ذا نفع، إذ لولاه لترك المرء البحث باكراً.

ما يضلّلنا عندما يجب أن نُقرّ الفكرة التي تفسر الظاهرة هو أنها غالباً،
وعادة، ما تُعارض المدارك.

يعتمد نظام كوبرنيكوس على فكرة كان من الصعب إدراكها، وما
تزال حتى الآن، تتعارض مع مداركنا.

كذلك فإنّ التحوّل النباتي يتعارض مع مداركنا.

لا يظهر البديع العظيم أمام عقولنا مجموعاً مركباً، ولو كنا قد تعرّفناه
جزءاً فجزءاً. لذلك، لا نصل إلى الأسمى، إلى الوحدانية، إلا على مراحل تمّ
الجودُ بها علينا لنترفع بها بشكل كامل ونستشعر اللامتناهي، الذي نشعر
أمامه بالصّعر كلما ازدادت معرفتنا به. ولما كنا نقف أمام الكامل كالعمالقة،
نرى أنفسنا اليوم كالأقزام أمام الأجزاء.

عملٌ مُتَمَعٌ أن نبحث في الطبيعة وفي أنفسنا في وقت واحد، ولا نستخدم العنف معها أو مع عقولنا، بل نوصل الطرفين إلى التوازن نتيجة تأثير متبادل لطيف.

أن توازيَ بين الأمور في استعراضها يعني أن تتعلّم، وأن تتناولها في أعماقها يعني أن تخترع.

الاختراع يتم بمحبة والتعلّم باطمئنان وأمانة.

ما الاختراع؟ هو نهاية ما تبحث عنه.

لا أحد يستطيع أن يسلبنا سرورنا عند الملاحظة الأولى، لما يُسمى الاكتشاف. أما إذا طالبنا بالحصول على شرف هذا الاكتشاف فسناله، في الغالب، مُتَهْتِكاً لأننا، غالباً، لسنا أول من ينال شرف هذا الاكتشاف.

ما معنى الاختراع، ومن يستطيع أن يقول: إنه قد اخترع هذا أو ذاك من الأشياء؟ كيف يُضَمَّنُ حقُّ الأولوية لهذا الاختراع؟ إنه الجنون المحض؛ فليس الأمر إلا زهواً وخيلاءً في لاوعي المرء، إذا لم يُرد أن يعترف بصدق أن الأمر مجرد انتحال.

إذا اختفت الآراء ووجهات النظر من العالم فإن الأشياء تذهب أيضاً هباءً مثوراً. لذا يُمكن القول بالمعنى السامي للكلمة: إنَّ الرأي هو الشيء نفسه.

إحساسان يصعب تجاوزهما: أن تجد ما قد وُجد سابقاً، وألاً ترى موجوداً ما كان ينبغي أن يوجد.

خطأ العقول الضعيفة أنها سرعان ما تنتقل عند التفكير من الفرديّ إلى العام، عوضاً عن أن يبحث المرء عن العام في المجموع.

يلاحظ المرء في تاريخ أبحاث الطبيعة بلا ريب أن الملاحظ ينتقل بسرعة من الظاهرة ويهرع إلى النظرية، ليصاب نتيجة ذلك بالقصور والافتراضية.

يتعلم الحيوان بأعضائه، أما الإنسان فيعلم أعضائه وسيطر عليها.

يعلن كبار علماء الطبيعة، منذ الآن، ضرورة المعالجة في حدود الدراسات الضيقة، بمعنى أن يتركز الاهتمام على التفاصيل. إلا أن هذا ليس ممكناً إلا بأسلوب منهجي يترك الباب مفتوحاً للاهتمام بالكلّيات؛ وإذا وصل الباحث إلى هذا المنهج لا يعود محتاجاً إلى تلمس الملايين من التفاصيل والجزئيات.

من يشاهد ظاهرة طبيعية أمام عينيه يفكر غالباً بما وراءها، أما من يسمع عنها فلا يفكر في شيء.

ليست الظواهر ذات قيمة إلا إذا سهّلت لنا نظرة أعمق وأغنى في الطبيعة أو قدّمت لنا ما نستفيد منه.

ثبات الظواهر واستمرارها هو الأمر المهم الوحيد، أما ما نفكر فيه بعد ذلك فسواء.

لا ظاهرة توضح ذاتها بذاتها ومن تلقاء ذاتها؛ بل كثير منها، ومراقبتها مع بعضها، وترتيبها منهجياً، هو ما يعطينا ما يمكن أن يكون أساساً لنظرية.

تقف النظرية من ناحية، والخبرة والظاهرة من ناحية ثانية، دوماً قبالة بعضها في صراع دائم. وليس كل توحد في الدراسة إلا خدعةً بيّنة، ولا يمكن توحيدها إلا بالمعالجة.

كي تجعل من الشيء النظري أمراً شعبياً، عليك أن تعرضه بشكل غير معقول ومخالف للمنطق. ويجب أن تحيل النظرية لاحقاً إلى الجانب العملي، لتصبح بعد ذلك صالحة للعالم كلّ.

يقول المرء بالضرورة: إن الظاهرة نتيجة بلا سبب، وتأثير بلا علة. من الصعب على المرء أن يجد السبب والعلّة؛ لأن الظاهرة بسيطة ولا تدركها النظرة. يخطئ الشخص المثقف خاصة عندما يبحث عن العلة والتأثير: فكلاهما يشكلان معاً الظاهرة التي لا تتجزأ. ومن يعرف الطريق إلى إدراك ذلك فهو على الطريق الصحيح للعمل والفعل.

لا تهتم الطبيعة بالخطأ أياً كان، إذ هي لا تستطيع العمل إلا بشكل صحيح، وإلى الأبد، ولا يهملها ما ينتج عن ذلك.

تملاً الطبيعة بإنتاجيتها اللا محدودة كل الفراغات والمساحات. لننظر إلى أرضنا التي نعيش عليها؛ كل ما نراه شراً أو سوءاً طالع، هو نتيجة لحقيقة أنّ الطبيعة لا تترك لكل ناشئ جديد المساحة اللازمة، ولا تمنحه الوقت الكافي.

يبحث كلّ حديث النشأة عن مساحة له، كما يسعى إلى الاستمرار؛ ولذلك يطرد شيئاً آخر إلى جانبه، ويقصّر من ديمومته.

للحيّ موهبة، فهو لا يتخلى عن نوع من الاستقلالية المكتسبة والحاسمة والمريحة على الرغم من كل ما يمر به من ظروف وشروط متنوّعة تفرضها عليه عوامل خارجية.

فليتذكّر المرء تلك الانفعالية التي تحس بها كل الكائنات إذا أحست بأدنى تبدّل في أحد الظروف، وتلك الرعشة التي تعلن عن القطبية في الأبدان، تلك القطبية الكامنة لدى الجميع.

التوتر هو تلك الحالة التي يبدو فيها الكائن العصبي غير مُبالٍ مع أنه في حالة استعدادٍ قصوى ليثبت نفسه ويميّزها.

ليس لدى الطبيعة أي قدرات حتمية لم تُظهرها بين الحين والآخر.
تصوّر خاطئ حين يظن المرء نفسه قادراً على تجنّب إحدى الظواهر
بالحسابات أو بالكلمات، والخلاص منها.

يجب أن نثبت ما هو السبيل الصحيح في أبحاث الطبيعة؛ وكيف
يستقيم مع أبسط أساليب الملاحظة، ومع الانتقال إلى التجربة، ومن ثمّ مع
الوصول إلى النتيجة.

يعتمد عالم الرياضيات على الكمّ وعلى كل ما يُحدّد برقم أو بقياس،
ويعتمد بعض الشيء على الكون الخارجي المدرك. لنلاحظ الآن هذا الكون بما
نملك من إمكانيات وبكل قوانا العقلية والفكرية، فسرى أنّ الكميّة والنوعية
هما القطبان اللذان يعتمد عليهما الوجود؛ ولذلك يرفع عالم الرياضيات من
مستوى علاقاته الحسابية قدر الإمكان ليستطيع أن يدرك ما لا يقبل القياس،
إضافةً إلى كل ما يُقاس ويُعدّ. وهكذا يبدو له كلُّ شيء ملموساً ومجسماً وآلياً
تدرّكه العقول والأفهام، لذا يقع العالم الرياضي في فخ الاتهام بالإلحاد؛ لأنه يضع
ما لا يمكن إدراكه، الذي هو برأينا الله الخالق العظيم، ضمن المدركات، ويبدو
كأنه لم يعد يعترف بوجوده المميّز والخاص.

الظواهر الأزلية: المثالية والواقعية والرمزية والتطابق.

التجريبية: زيادة غير محدودة لما سبق، أملّ بالمساعدة، وشكّ بالكمال.

الظاهرة الأزلية:

المثالية كآخر شيء قابل للإدراك،

والواقعية كأمر مُدرك،

والرمزية لأنها تشمل الحالات كلها،

والتطابق مع الحالات كلها.

يجب أن تنتهي الأبحاث في الطبيعة إلى نظام وتنسيق، سواء كان ذلك عائقاً أم حافزاً.

نسمع أن علم الرياضيات هو العلم الوحيد الذي يمنح اليقين، مع أنه لم يعد كذلك. هذا العلم أكيد ويبعث على اليقين حينها يتعامل بذكاء فقط مع أمور يود المرء أن يؤكدها طالما استطاع أن يتأكد منها.

بهذا المعنى، يمكن أن يقول المرء: إن علم الرياضيات هو أكثر العلوم رفعةً و يقيناً.

إلا أن الرياضيات لا يمكن أن تصنع أمراً حقيقياً ما لم يكن فعلاً حقيقياً.

ملحق

استُخدم العنوان «أفكارٌ وتأمّلات» أوّل مرة سنة ١٨٣٣ كتسمية لمجموعة صغيرة من أقوال غوته الثرية وحِكمه، جمعها الناشر الذي تولى تصنيف أعمال غوته. والمرجع في هذه الأفكار والتأمّلات هو ملاحظات بخط يد الشاعر دوّنها سنة ١٨٢٢، وعنون بها المصنف الذي ضم تحت هذا العنوان مجموعة من أقواله المأثورة. وقد جمع ماكس هيكر "Max Hecker" سنة ١٩٠٧ وتحت هذا العنوان أيضاً، كلّ ما نشره غوته، ووضع هو نفسه بعضاً من عناوينها («الذاتي والمستعار»، «بالتفصيل»، «قديم وربما عتيق»، ومجموعات أخرى).

(„Eigenes und Angeeignetes“, „Einzelnes“, „Älteres beinahe Veraltetes“ u.a.)

وأضاف هيكر إلى ذلك ما بقي مخطوطاً وسالماً من إرث غوته الأدبي، في طبعة لا تزال مثالية حتى اليوم، ضمن سلسلة «منشورات جمعية غوته». جمع غوته أوّل مرة مجموعة من حِكمه وأقواله سنة ١٨٠٩ ووضعها تحت عنوان «من مذكرات Ottilien» في روايته «أقرباء بالاختيار» (Die Wahlverwandschaften). ثم نشر بين عامي ١٨١٨ و ١٨٢٩ بشكل منتظم، ما أسماه أحياناً «شذرات» (Späne)، جمع فيها ملاحظاته وأعطائها في دورياته أسماء مثل: «حول الفنّ والعصور القديمة» و«حول المورفولوجيا» و«حول العلوم الطبيعية عامّة»

(„Über Kunst und Altertum“, „Zur Morphologie“, „Zur Naturwissenschaft überhaupt“)

هذا بالإضافة إلى مجموعتين آخرين «ملاحظات من وجهة نظر الجوّالة»
و «من أرشيف ماكارين».

(„Betrachtungen im Sinne der Wanderer“, „Aus Makariens Archiv“)

وضعها في روايته „Wilhelm Meisters Wanderjahre“ سنة ١٨٢٩ .

تتضمن تأملات غوته في «الذاتي والمستعار» سلسلة من الأقوال التي
أخذها من أعمال أخرى، وخاصة من أعمال الأقدمين، ومن الأديين الإنكليزي
والفرنسي المعاصرين له، إذا وجدت عنده قبولاً ورأى فيها شيئاً مميّزاً،
وتلاءمت مع أسلوبه في التفكير. كذلك فإن «الأفكار والتأملات» تبسط أمامنا
أفكار غوته عن هذا العالم بطرق شتى، فهي معارف مهمة وُضعت في شكل
موجز معبر، كما أنها ثمرة حياة ناضجة غنيّة.

تقدّم الطبعة التي بين أيدينا مختارات شاملة من وفرة من الحِكم
الموجزة التي رُتبت منهجياً في مكوّنات كبيرة حول الفلسفة والأدب والفن
والسياسة والعلوم.

فهرس

الصفحة

٧ في الفلسفة
٦١ في الأدب
٧٥ في الفنون
٨٧ في السياسة
٩٥ في العلوم
١١٧ ملحق

يوهان فولفغانغ فون غوته

- (١٧٤٩ - ١٨٣٢)، شاعر ومسرحي ألماني. من أشهر أدباء ألمانيا والعالم، ترك إرثاً أدبياً وثقافياً للمكتبة الألمانية والعالمية.

من أعماله:

- مسرحية فاوست.
- آلام فيرتر.
- الشعر والحقيقة.
- المراثيات الرومانسية وغيرها .

د. هاني صالح صالح

- ١٩٣٩ م. أستاذ مادة الترجمة في قسم اللغة الألمانية في جامعة ديدوش مراد في الجزائر العاصمة.
- مترجم معتمد في معهد غوته في دمشق والقاهرة.
- له العديد من الترجمات في موضوعات مختلفة علمية واقتصادية واجتماعية واستشرافية... إلخ.

الطبعة الأولى / ٢٠١٩

عالم غوته، صاحب
الديوان الشرقي، وملك
العفاريت، وصبي ساحر،
وفافوسيت، وإجمونيت،
متفرد أدباً وفكراً وتأملاً.
ما أحوجنا، إنسانياً، إلى
قراءة تأملات غوته
وأفكاره.
من تأملاته نعرف أهمية
الاعتراف بالآخر...
ومن أفكاره نقف عند
مفهوم نقد الذات حُباً
وحرصاً...
ومن أفكاره، أيضاً، نقف
على منابع المعرفة التي
وصلت إليه، ثم تابعت
إلينا.
غوته، في هذا الكتاب،
الصغير حجماً، المكثف
عبارة وتجربة ومعرفة،
يجمع كتباً عديدة، ويجعلنا
نعيش أكثر من حياة.

أبو عابدو البغل



<https://facebook.com/groups/abuab/>

www.syrbook.gov.sy

E-mail: syrbook.dg@gmail.com

هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٩م